سورة صٓ

مكية، وهي ست وثمانون آية، وقيل ثمان وثمانون آية
[نزلت بعد القمر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾

﴿صٓ﴾ على الوقف وهي أكثر القراءة. وقرئ: بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين، ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله، كقولهم: الله لأفعلنّ، كذا بالنصب، أو بإضمار حرف القسم، والفتح في موضع الجرّ، كقولهم: الله لأفعلنّ، بالجرّ وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث؛ لأنها بمعنى السورة، وقد صرفها من قرأ ﴿صٓ﴾ بالجرّ والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل، وقيل: فيمن كسر هو من/ ٢/ ١٣٣ب المصاداة وهي المعارضة والمعادلة. ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة، ومعناه: ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه. فإن قلت: قوله: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ كلام ظاهره متنافر غير منتظم، فما وجه انتظامه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز كما مرّ في أوّل الكتاب، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدّي عليه، كأنه قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ إنه لكلام معجز. والثاني: أن يكون ﴿صٓ﴾ خبر مبتدأ محذوف، على أنها اسم للسورة، كأنه قال: هذه ص، يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذي الذكر، كما تقول: هذا حاتم والله، تريد: هذا هو المشهور بالسخاء والله؛ وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال: بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله، وإذا جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله، وأن تريد السورة بعينها. ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر، كما تقول: مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة، ولا تريد بالنسمة غير الرجل. والذكر: الشرف

والشهرة، من قولك: فلان مذكور، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد. والتنكير في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدّلالة على شدّتهما وتفاقمهما. وقرئ: «في غرّة» أي: في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحقّ.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيد لذوي العزّة والشقاق ﴿فَنَادَوا﴾ فدعوا واستغاثوا، وعن الحسن. فنادوا بالتوبة ﴿وَّلَاتَ﴾ هي لا المشبهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رُبَّ، وثَمَّ للتوكيد، وتغير بذلك حكمها؛ حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها: إمّا الاسم وإما الخبر، وامتنع بروزهما جميعاً، وهذا مذهب الخليل وسيبويه. وعند الأخفش: أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء، وخصّت بنفي الأحيان. و ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ منصوب بها، كأنك قلت: ولا حين مناص لهم. وعنه: أنّ ما ينتصب بعده بفعل مضمر، أي: ولا أرى حين مناص، ويرتفع بالابتداء: أي ولا حين مناص كائن لهم، وعندهما أن: النصب على: ولات الحين حين مناص، أي: وليس الحين حين مناص، والرفع على ولات حين مناص حاصلاً لهم. وقرئ: «حين مناص» بالكسر، ومثله قول أبي زبيد الطائي [من الخفيف]:

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ ... فَأَجَبْنَا أَنْ لَاتَ حِينَ بَقَاءِ[1]

---

(١) بعثوا حربنا عليهم وكانوا ... في مقام لو أبصروا ورخاء
ثم لما تشذرت وأنافت ... وتصلوا منها كريه الصلاء
طلبوا صلحنا ولات أوانٍ ... فأجبنا أن لات حين بقاء

لأبي زبيد الطائي، استعار البعث للتسبب. وتنوين مقام ورخاء للتعظيم. والتشذر: التهيؤ للقتال، والتشمر بأطراف الثوب، والتطاول، والوعيد، والركوب من خلف المركوب، والإنافة: الارتفاع، وكل هذا ترشيح لاستعارة البعث، ويجوز أنه شبه الحرب بفارس على طريق المكنية، والبعث والتشذر والإنافة: تخييل. وشبهها بالنار أيضاً فأثبت لها التصلي وهو التدفؤ بالنار تخييلاً. أو استعار التصلي لاقتحام المكاره تصريحية، وطلبوا: جواب لما، أي: لما ذاقوا بأسنا طلبوا صلحنا، والحال أنه ليس الأوان أوان صلح، فأجبناهم بأن هذا ليس وقت بقاء، بل وقت فناء. وأوان: مبني على الكسر لنية الإضافة. وقيل: إنه مبني على الكسر أيضاً لنية الإضافة، ونون للضرورة، وشبهه بنزال في الوزن. وقيل: مجرور على إضمار «من» الاستغراقية الزائدة. وزعم الفراء: أن لات هنا حرف جر. وعليها فتنوين أوان للتمكين. وزعم الزمخشري: أنه على البناء تنوين عوض، ورد بأنه لو كان كذلك لأعرب، وحين نصب على أنه خبر لات في بقاء، ثم تنزيلها منزلة نيتها في حين؛ لأن التقدير: أن لات حين بقائكم، وهو بعيد عن المعنى الجزل.
ينظر: البيت في ديوانه ص ٣٠، والإنصاف ص ١٠٩، وتخليص الشواهد ص ٢٩٥، وتذكرة النحاة =

فإن قلت: ما وجه الكسر في أوان؟ قلت: شبه بإذ في قوله: وأنت إذ صحيح، في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين؛ لأنّ الأصل: ولات أوان صلح. فإن قلت: فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم؟ قلت: نزل قطع المضاف إليه من مناص؛ لأنّ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين؛ لاتحاد المضاف والمضاف إليه، وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف، ثم بنى الحين لكونه مضافاً إلى غير متمكن. وقرئ: «ولات» بكسر التاء على البناء، كجير. فإن قلت: كيف يوقف على لات؟ قلت: يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي تتصل به تاء التأنيث. وأمّا الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة. وأمّا قول أبي عبيد: إنّ التاء داخلة على حين فلا وجه له، واستشهاده بأنّ التاء ملتزقة بحين في الأمام لا متشبث به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط. والمناص: المنجا والفوت. يقال: ناصه ينوصه إذا فاته، واستناص: طلب المناص. قال حارثة بن بدر [من الكامل]:

غَمْرُ الْجِرَاءِ إِذَا قَصَرْتُ عِنَانَهُ ... بِيَدِي اسْتَنَاصَ وَرَامَ جَرْيَ الْمُسْحِلِ[1]

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾

﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ولم يقل: وقالوا؛ إظهاراً للغضب عليهم، ودلالة على أنّ هذا القول لا يجسر عليه إلاّ الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغيّ الذين قال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]، وهل ترى كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدّقه الله بوحيه كاذباً، ويتعجبوا من التوحيد، وهو الحق الذي لا يصحّ غيره، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته.

= ص ٧٣٤، وخزانة الأدب ٤/ ١٨٣، ١٨٥، ١٩٠، والدرر ٢/ ١١٩، وشرح شواهد المغني ص ٦٤٠، ٩٦٠، والمقاصد النحوية ٢/ ١٥٦، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٢٤٩، وخزانة الأدب ٤/ ١٦٩، ٦/ ٥٣٩، ٥٤٥، والخصائص ٢/ ٣٧٠، ورصف المباني ص ١٦٩، ٢٦٢، وسر صناعة الإعراب ص ٥٠٩، وشرح الأشموني ١/ ١٢٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٣٢، ولسان العرب (أون)، (لا)، (لات)، ومغني اللبيب ص ٢٢٥، وهمع الهوامع ١/ ١٢٦.

(١) لحارثة بن بدر، يصف فرساً بأنه كثير المجاراة لغيره من الأفراس، إذا قصرت: أي جذبت عنانه، استناص: أي طلب النوص والهرب والنجاء من الأعداء. وشبه الفرس بمن تصح منه الإرادة على طريق المكنية، والروم تخييل، أي: أراد جرياً كجري المُسْحِلِ وهو حمار الوحش، سمي به لكثرة سحاله، أي شهيقه.
ينظر ديوانه (ص ٣٥٩)، لسان العرب (نوص)، (جرا)، تهذيب اللغة (١٢/ ٢٤٦)، بلا نسبة في كتاب العين (٧/ ١٦٠).

روي: أنّ إسلام عمر رضي الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحاً شديداً، وشقّ على قريش وبلغ منهم، فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا (١٣١٠)، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، يريدون الذين دخلوا في الإسلام، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السُّؤال[1] فلا تمل/ ٢/ ١٣٤أ كل الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «ماذا يسألونني؟» قالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلٰهك، فقال عليه السلام: «أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟» فقالوا: نعم وعشراً، أي نعطيكها وعشر كلمات معها، فقال: «قولوا: لا إلٰه إلاّ الله» فقاموا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ أي: بليغ في العجب. وقرئ: «عجاب» بالتشديد، كقوله تعالى: ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢] وهو أبلغ من المخفف. ونظيره: كريم وكرام وكرام: وقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ مثل قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم، كأنه قال: أجعل الجماعة واحداً في قوله؛ لأنّ ذلك في الفعل محال.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أشراف قريش، يريد: وانطلقوا عن مجلس أبي طالب، بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ بالجواب العتيد، قائلين بعضهم لبعض: ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟﴾ فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ أي: يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه، وما أراد الله

١٣١٠ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة ص، حديث (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٣٥) كتاب السير: باب ممن تأخذ منهم، حديث (٨٧٦٩)، وأحمد (١/ ٣٦٢) والطبري (١٠/ ٥٥٠)، حديث (٢٩٧٣٧)، وابن حبان: صحيحه (١٥/ ٧٩، ٨٠)، حديث (٦٦٨٦) عن ابن عباس والحاكم (٢/ ٤٣٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٤٥) عن ابن عباس به، وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي بغير سند، وروى الترمذي والنسائي، وابن حبان، وأحمد، وإسحاق، وأبو يعلى، والطبري، وابن أبي حاتم، وغيرهم من طريق يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: «مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاء النبي ﷺ..... الحديث نحوه» وليس فيه أوله. انتهى.

---

(١) قوله: «يسألونك السؤال فلا تمل» لعله السواء، كما في عبار النسفي. (ع).

كونه فلا مردّ له ولا ينفع فيه إلا الصبر، أو إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه، أو إن دينكم لشيء يراد، أي: يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه. و (أن) بمعنى أي؛ لأنّ المنطلقين عن مجلس التقاول لا بدّ لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم، فكان انطلاقهم مضمناً معنى القول، ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول، وأنهم قالوا: امشوا، أي: أكثروا واجتمعوا، من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها. ومنه: الماشية؛ للتفاؤل، كما قيل لها: الفاشية. قال رسول الله ﷺ: «ضموا فواشيكم»[1] (١٣١١) ومعنى ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها، وقرئ: «وانطلق الملأ منهم امشوا» بغير (أن) على إضمار القول. وعن ابن مسعود: «وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا»﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في ملة عيسى التي هي آخر الملل؛ لأنّ النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة. أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا، أو ما سمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة، على أن تجعل (في الملة الآخرة) حالاً من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين. والمعنى: أنّا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله. ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ أي: افتعال وكذب.

﴿ءَأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىٓ ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم، كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوّة من بينهم ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ من القرآن، يقولون في أنفسهم: أما وأما. وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾

١٣١١ ـ أخرجه مسلم (٧/ ٢٠٣ نووي): كتاب الأشربة: باب الأمر بتغطية الإناء و...، حديث (٢٠١٣)، والبخاري في الأدب المفرد ص (٣٥٦)، حديث (١٢٢٦) وأحمد (٣/ ٣٠١)، (٣/ ٣٩٥) وابن خزيمة (١/ ٦٨)، حديث (١٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٩١، ٩٢)، حديث (١٢٧٥، ١٢٧٦)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥٥٥): كتاب السير والجهاد: باب متى يخرج إلى السفر، حديث (٢٦٦٦) ومسند أبي يعلى (٣/ ٣٠٥، ٣٠٦)، حديث (١٧٧١)، من حديث جابر، وقال الحافظ: أخرجه ابن حبان من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ «كفوا» وأصله في مسلم، انتهى.

---

(١) قوله: «ضموا فواشيكم» بقيته في الصحاح: «حتى تذهب فحمة العشاء». (ع).

كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد. ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ بعد، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد[1] حينئذ، يعني: أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين إلى تصديقه. ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعني: ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا، ويتخيروا للنبوّة بعض صناديدهم، ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام. وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه، الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله، كما قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزخرف: ٣٢] ثم رشح هذا المعنى فقال: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها ربّ العزّة والكبرياء، ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة، وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوّة دون من لا يحق له ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش، حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله، وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون، ثم خسأهم خساءة[2] عن ذلك بقوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ يريد: ما هم إلا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله، مهزوم مكسور عما قريب[3] فلا تبال بما يقولون،

---

(١) قال محمود: «معناه لم يذوقوه بعد. فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم... إلخ» قلت: ويؤخذ منه أن لما لائقة بالجواب، وإنما ينفى بها فعل يتوقع وجوده، كما يقول سيبويه، وفرق بينها وبين لم بأن لم نفي لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبته قد، ولما نفي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبته قد؛ وإنما ذكرت ذلك لأني حديث عهد بالبحث في قوله عليه الصلاة والسلام: «الشفعة فيما لم يقسم» فإني استدللت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل القسمة، فقيل لي: إن غايته أنه أثبت الشفعة فيما نفي عنه القسمة، فإما أنها لا تقبل قسمة، وإما أنها تقبل ولم تقع القسمة، فأبطلت ذلك بأن آلة النفي المذكورة «لم» ومقتضاها قبول المحل للفعل المنفي وتوقع وجوده. ألا تراك تقول: الحجر لا يتكلم، ولو قلت: الحجر لم يتكلم؛ لكان ركيكاً من القول؛ لإفهامه قبوله للكلام.

(٢) قوله: «ثم خسأهم خسأة» في الصحاح: خسأت الكلب خسأ: طردته، وخسأ بنفسه يتعدى ولا يتعدى. (ع).

(٣) قال محمود: «ثم تهكم بهم غاية التهكم، فقال: إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإتياء النبوة دون من لا يستحق؛ فليرتقوا في المعارج والطرق الموصلة إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله تعالى، وينزلوا الوحي على من يختارونه. قال: ثم خسأهم بقوله: (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) معناه: إن هؤلاء إلاّ جند متحزبون على النبي ﷺ عما قليل يهزمون ويولون الأدبار» قال أحمد: الاستواء المنسوب لله ليس مما يتوصل إليه بالصعود في المعارج والوصول إلى العرش والاستقرار عليه والتمكن فوقه؛ لأن الاستواء المنسوب إلى الله تعالى ليس استواء استقرار =

ولا تكترث لما به يهذون. و (ما) مزيدة، وفيها معنى الاستعظام، كما في قول امرىء القيس [من البسيط]:

. . . . . فَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصَرِهْ[1]

إلا أنه على سبيل الهزء و ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله: لست هنالك.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده، قال/ ٢/ ١٣٤ب [من البسيط]:

وَالْبَيْتُ لاَ يُبْتَنَى إِلاَّ بِأَعْمِدَةٍ وَلاَ عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ[2]

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر، كما قال الأسود [من الكامل]:

. . . . . فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ[3]

= بجسم ـ تعالى الله عن ذلك ـ وإنما هو صفة فعل، أي فعل فيه فعلاً سماه استواء، هذا تأويل القاضي أبي بكر، وليست عبارة الزمخشري في هذا الفصل مطابقة للمفصل على جاري عاداته في تحرير العبارة على مراده.

(١) جد بالوفاق لمشتاق إلى سهره إن لم تجد فحديث ما على قصره

المراد بالوفاق: الوصال. وضمير «سهره» للمشتاق أو للوفاق. وحديث: مبتدأ خبره محذوف، أي: تجود به. وما زائدة للتعميم. ويجوز أنها للتعظيم. لكن الأول أوفق بالمقام. وعلى بمعنى مع، وضمير «قصره»: للحديث.

ينظر ديوانه ص (١٢٧)، لسان العرب (هنا)، مقاييس اللغة (٦/ ٦٨)، تاج العروس (هنا)، بلا نسبة في تهذيب اللغة (٦/ ٤٣٦)، ديوان الأدب (٤/ ٢٩)، والدر المصون ١/ ١٦٣.

(٢) والبيت لا يبتنى إلاّ بأعمدة ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أسباب وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

للرافدة الأودي، يقول: لا ينال الأمر إلاّ بتوافر أسبابه، فالبيت من باب التمثيل: شبه توقف الأمر على أسبابه وتوقف أسبابه على أسبابها بتوقف ضرب الخيمة على انتصاب الأعمدة، وتوقف انتصابها على إثبات الأوتاد المشدودة بالحبال، ثم قال: فإن اجتمعت الحبال المشدودة بالأوتاد الثابتة وانتصبت الأعمدة ووجد الساكن بلغ مراده، وهو بمعنى الجمع، فصح جمع ضميره، وكاده كيداً: عالجه علاجاً، أي: بلغوا الأمر الذي كادوه، أي عالجوه لتحصيله.

ينظر ديوانه (ص ١٠)، لسان العرب (كيد)، تاج العروس (٩/ ١٢٠) (كود).

(٣) ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد؟ =

وقيل: كان يشبح[1] المعذب بين أربع سوار، كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد، ويتركه حتى يموت. وقيل: كان يمدّه بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات. وقيل: كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ قصد بهذه الإشارة الإعلام بأنّ الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم، وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب[2]. ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستئنافية فأوضحه فيها: بأنّ كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوهم جميعاً. وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أوّلاً وبالاستئنافية ثانياً، وما في الاستئنافية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشدّ العقاب وأبلغه، ثم قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي: فوجب لذلك أن أعاقبهم حقّ عقابهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة. ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب؛ لاستحضارهم بالذكر، أو لأنهم كالحضور عند الله. والصيحة: النفخة ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾

= جرت الرياح على مقر ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهي به يوماً يصير إلى بلى ونفاد

للأسود بن يعفر. يقول: لا أتمنى شيئاً بعدهم من الدنيا. ومحرق: هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي. والإياد ـ في الأصل ـ: تراب يجمع حول الحوض والبيت. يحفظه عن المطر والسيول، من الأيدي: وهو القوة. وإياد: علم علي بن نزار بن معد، فهو أخو مضر وربيعة. والمراد به هنا القبيلة. وروي: وآل إياد، عطفاً على آل محرق. وغني بالمكان كرضي: أقام به. والبلى: الانمحاق. والنفاد: الفناء. يقول: تركوا منازلهم: جملة مستأنفة لبيان نفي التأميل، واعتراضية بين المتعاطفين. وقوله: «جرت الرياح» مستأنف لبيان حال القبيلتين، يقول: تفانوا فجرت الرياح على محل ديارهم، وجريان الرياح على مقر الديار؛ لانهدام الجدران التي كانت تمنع الرياح، وذلك كناية عن موتهم، وأفاد أن فناءهم كان سريعاً كأنه دفعة واحدة بقوله: فكأنهم كانوا على ميعاد واحد، ولقد أقاموا بأرغد عيشة، وشبه الملك الذي به عزهم وصونهم بخيمة مضروبة عليهم، والظل: الترشيح، والأوتاد تخييل. وإذا معناها المفاجأة. أي فظهر بغتة أن كل نعيم لا محالة زائل، أي: فأدركهم المحاق والفناء.
ينظر الدر المصون (٣/ ٣٠٦).

(١) قوله: «وقيل: كان يشبح المعذب» أي يمده، أفاده الصحاح. (ع).

(٢) قال محمود: «قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم، وأنهم الذين وجد التكذيب منهم» قال أحمد: وفي تكرار تكذيبهم فائدة أخرى: وهي أن الكلام لما طال بتعديد آحاد المكذبين، ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم، كرر ذلك مصحوباً بالزيادة المذكورة، ليلى قوله تعالى: (فحق عقاب) على سبيل التطرية المعتادة عند طول الكلام، وهو كما قدمته في قوله: (وكذب موسى) حيث كرر الفعل؛ ليقترن بقوله: (فأمليت للكافرين).

وقرئ بالضم: ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ [النحل: ٦١] وعن ابن عباس: ما لها من رجوع وترداد (١٣١٢)، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة. وفواق الناقة: ساعة ترجع الدرّ إلى ضرعها، يريد: أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

القط: القسط من الشيء؛ لأنه قطعة منه، من قطه إذا قطعه. ويقال لصحيفة الجائزة: قط؛ لأنها قطعة من القرطاس، وقد فسر بهما قوله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧] وقيل: ذكر رسول الله ﷺ وعد الله المؤمنين بالجنة؛ فقالوا على سبيل الهزء: عجل لنا نصيبنا منها. أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

فإن قلت: كيف تطابق قوله: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ حتى عطف أحدهما على صاحبه؟ قلت: كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: اصبر على ما يقولون، وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود، وهو أنه نبيّ من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوّة والملك؛ لكرامته عليه وزلفته لديه، ثم زلّ زلّة فبعث إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض؛ حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب، ووجد منه ما يُحْكَى من بكائه الدائم وغمّه الواصب[1]، ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر إليها والندم عليها، فما الظنّ بكم مع كفركم ومعاصيكم؟ أو قال له ﷺ: اصبر على ما يقولون، وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم، واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي. ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القوّة في الدين

١٣١٢ ـ أخرجه الطبري (١٠/٥٥٨)، حديث (٢٩٧٧٧، ٢٩٧٧٨).

---

(١) قوله: «وغمه الواصب» أي: الدائم. (ع).

المضطلع بمشاقه وتكاليفه، كان على نهوضه بأعباء النبوّة والملك يصوم يوماً ويفطر يوماً، وهو أشدّ الصوم، ويقوم نصف الليل. يقال: فلان أيد، وذو أيد، وذو آد. وأياد كل شيء: ما يتقوّى به ﴿أَوَّابٌ﴾ توّاب رجاع إلى مرضاة الله. فإن قلت: ما دلك على أنّ الأيد القوّة في الدين؟ قلت: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ لأنه تعليل لذي الأيد. ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ وقت الإشراق، وهو حين تشرق الشمس، أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها، يقال: شرقت الشمس، ولما تشرق[1]. وعن أمّ هانئ: دخل علينا رسول الله ﷺ فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال: «يا أمّ هانئ هذه صلاة الإشراق» (١٣١٣). وعن طاووس، عن ابن عباس قال: هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن؟ قالوا: لا، فقرأ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ (١٣١٤) وقال: كانت صلاة يصليها داود عليه السلام، وعنه: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية، وعنه: لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ وكان لا يصلي صلاة الضحى (١٣١٥)، ثم صلاها بعد. وعن كعب أنه قال لابن عباس: إني لا أجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس، فقال: أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى، يعني هذه الآية. ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا

١٣١٣ ـ أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٥)، حديث (٤٢٥٨)، والبغوى في تفسيره (٤/ ٥١) آية (١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣): كتاب معرفة الصحابة: أم هانىء، وذكره الزيلعى (٣/ ١٨٧، ١٨٨) وزاد نسبته إلى الثعلبى وابن مردويه وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٦١) ونسبه إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه.

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه، والثعلبى، والواحدي، والبغوى، والطبراني كلهم من رواية أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس: حدثتني أم هانىء، ورواه الحاكم من وجه آخر عن عبد الله ابن الحرث عن ابن عباس: «كان لا يصلى الضحى حتى أدخلناه على أم هانىء فقلت لها: أخبري ابن عباس قالت: دخل رسول الله ﷺ في بيتي فصلى صلاة الضحى ثمان ركعات، قال: فخرج ابن عباس وهو يقول: «هذه صلاة الإشراق» هذا موقوف وهو أصح. انتهى.

١٣١٤ ـ أخرجه عبد الرزاق (في مصنفه ٣/ ٧٩)، حديث (٤٨٧٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد. عن عطاء عن ابن عباس.

١٣١٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٧٩) حديث (٤٨٧١).

---

(١) قال محمود: «الإشراق حين تشرق الشمس، أي يصفو نورها وهو وقت الضحى. وأما شروقها فطلوعها. يقال: شرقت الشمس ولما تشرق. ومنه أخذ ابن عباس صلاة الضحى. قال: ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في وقت الشروق، ويكون المراد وقت صلاة الفجر؛ لانتهائه بشروق الشمس» قال أحمد: الوجه الثاني: يفرق بين العشي والإشراق، فإن العشي ظرف بلا إشكال، فلو حمل الإشراق على الدخول في وقت الشروق لكان مصدراً، مع أن المراد به الظرف؛ لأنه فعل الشمس وصفتها التي تستعمل ظرفاً، كالطلوع والغروب وشبههما.

دخلوا في الشروق، ومنه/ ٢/ ١٣٥أ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الحجر: ٧٣] وقول أهل الجاهلية: أشرق[١] ثبير، ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق. ويسبحن: في معنى ومسبحات[٢] على الحال. فإن قلت: هل من فرق بين يسبحن ومسبحات؟ قلت: نعم، وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح. ومثله قول الأعشى [من الطويل]:

. . . . . إِلَـى ضَـوْءِ نَـارٍ فِـي يَـفَـاعٍ تَـحَـرَّقُ[٣]

ولو قال: محرقة، لم يكن شيئاً. وقوله: ﴿مَحْشُورَةً﴾ في مقابلة (يسبحن) إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء، جيء به اسماً لا فعلاً. وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرن ـ على أنّ الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء، والحاشر هو الله عزّ وجلّ ـ لكان خلفاً؛ لأنّ حشرها جملة واحدة أدلّ على القدرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبحت، فذلك حشرها. وقرئ: «والطير محشورة» بالرفع. ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ كل واحد من الجبال والطير لأجل داود، أي: لأجل تسبيحه مسبح؛ لأنها كانت تسبح بتسبيحه، ووضع الأوّاب موضع المسبح: إمّا لأنّها كانت ترجع التسبيح، والمرجع

---

(١) قوله: «أشرق ثبير» كانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نغير، كيما في الصحاح. (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع كان حالاً؟ وأجاب بأن اختيارهما لمعنى وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيئاً بعد شيء، كأن السامع محاضر لها فيسمعها تسبح، ومنه قول الأعشى:

. . . . . إلـى ضـوء نـار فـي يـفـاع تـحـرق

ولو قال: محرقة لم يكن شيئاً. قال أحمد: ولهذه النكتة فرق سحنون من أصحابنا بين: أنا محرم يوم أفعل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع، فرأى أن المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرماً بوجود صيغة التعليق، ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع، فإنه لا يكون محرماً حتى يحرم، ويقال له: أحرم، فكأنه رأى أن صيغة الفعل خصوصية في الدلالة على حدوثه، ولا كذلك اسم الفاعل وإن كان متأخراً. وأصحابنا اختلفوا في معنى قول سحنون في اسم الفاعل يكون محرماً يوم يفعل، فمنهم من قال: أراد الفور فينشىء إحراماً، ومنهم من قال: يكون محرماً في الحال بالتعليق الأول ولا يجدد شيئاً، ومذهب مالك: التسوية بين صيغتي اسم الفاعل والفعل في هذا المقام، والله أعلم. وحقق الزمخشري هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل في قوله: (والطير محشورة كل له أواب) فقال: لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة، وكان ذلك أدل على القدرة، لم يكن لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيئاً فشيئاً معنى، فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل في الأول.

(٣) تقدم.

رجاع؛ لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع، وإمّا لأن الأوّاب ـ وهو التوّاب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته ـ من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه. وقيل: الضمير لله، أي: كل من داود والجبال والطير لله أوّاب، أي مسبح مرجع للتسبيح. ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوّيناه، قال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [القصص: ٣٥] وقرئ: و«شدَّدنا» على المبالغة. قيل: كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم[1] يحرسونه (١٣١٦) وقيل: الذي شدّ الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة، أنّ رجلاً ادّعى عنده على آخر بقرة، وعجز عن إقامة البينة، فأوحى الله تعالى إليه في المنام أن اقتل المدّعى عليه، فقال: هذا منام، فأعيد الوحي في اليقظة، فأعلم الرجل، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يأخذني بهذا الذنب، ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة، فقتله، فقال الناس: إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله عليه، فقتله، فهابوه (١٣١٧). ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ الزبور وعلم الشرائع. وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة. الفصل: التمييز بين الشيئين. وقيل للكلام البين: فصل، بمعنى المفصول كضرب الأمير؛ لأنهم قالوا: كلام ملتبس، وفي كلامه لبس. والملتبس: المختلط، فقيل في نقيضه: فصل، أي: مفصول بعضه من بعض، فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه، ومن فصل الخطاب وملخصه: أن لا يخطىء صاحبه مظانّ الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤] إلا موصولاً بما بعده، ولا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ﴾ حتى يصله بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ونحو ذلك، وكذلك مظانّ العطف وتركه، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار، وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل، كالصوم والزور، وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ، وهو كلامه في القضايا والحكومات، وتدابير الملك والمشورات. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قوله: البينة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه. وهو من الفصل بين الحق والباطل، ويدخل فيه قول بعضهم: هو قوله: «أمّا بعد»؛ لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه: فصل بينه وبين ذكر الله بقوله: أمّا بعد. ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخلّ ولا إشباع

١٣١٦ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٨٦) عن السدي وابن جرير الطبري (١٠/ ٥٦٣)، حديث (٢٩٨١٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٣) وعزاه لهما عن السدي.

١٣١٧ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٦٣)، حديث (٢٩٨١١).

---

(١) قوله: «مستلئم» أي: لابس اللأمة، وهي الدرع، أفاده الصحاح. (ع).

مملّ. ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله ﷺ: فصل لا نذر ولا هذر (١٣١٨).

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها. وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك، فاتفق أنّ عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا، فأحبّها، فسأله النزول له عنها، فاستحيا أن يردّه ففعل، فتزوجها وهي أمّ سليمان، فقيل له: إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به. وقيل: خطبها أوريا ثم خطبها داود، فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن/ ٢/ ٣٥ب، مع كثرة نسائه. وأمّا ما يذكر أنّ داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: يا رب إنّ آبائي قد ذهبوا بالخير كله، فأوحى إليه: إنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها؛ قد ابتلي إبراهيم بنمروذ وذبح ولده، وإسحاق بذبحه وذهاب بصره، ويعقوب بالحزن على يوسف، فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه: إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا، فاحترس، فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب، فمدّ يده ليأخذها لابن له صغير، فطارت، فامتدّ إليها، فطارت فوقعت في كوّة، فتبعها، فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها، وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء[1]، فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء. أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت، وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد، ففتح الله على يده وسلم، فأمر بردّه مرة أخرى، وثالثة، حتى قتل، فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء، وتزوج امرأته (١٣١٩). فهذا ونحوه مما يقبح أن

١٣١٨ ـ تقدم في سورة الأعراف، وقال الحافظ: هو حديث أم معبد، وقد تقدم في سورة الأعراف، وفي الأدب لأبي داود من حديث عائشة «كان كلام رسول الله ﷺ فصلاً يفهمه من سمعه. انتهى.

١٣١٩ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٠)، حديث (٢٩٨٥٢) عن ابن عباس وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٦٦) وعزاه للطبري عن ابن عباس بمعناه.

---

(١) قوله: «من غزاة البلقاء» في الصحاح: مدينة بالشام. (ع).

يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين[1] فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء. وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين، وهو حدّ الفرية على الأنبياء (١٣٢٠). وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به، وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس. والذي يدلّ عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلاّ طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب. فإن قلت: لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح؟ قلت: لكونها أبلغ في التوبيخ، من قبل أن التأمل إذا أدّاه إلى الشعور بالمعرض به، كان أوقع في نفسه، وأشدّ تمكناً من قلبه، وأعظم أثراً فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحاً، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة، ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح، وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه، وذلك أزجر له؛ لأنه ينصب ذلك مثالاً لحاله ومقياساً لشأنه، فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة. فإن قلت: فلم كان ذلك على وجه التحاكم إليه؟ قلت: ليحكم بما حكم به من قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤] حتى يكون محجوجاً بحكمه ومعترفاً على نفسه بظلمه. ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ ظاهره الاستفهام، ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد، والتشويق إلى استماعه، والخصم: الخصماء، وهو يقع على الواحد والجمع، كالضيف. قال الله تعالى: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]؛ لأنه مصدر في أصله، تقول: خصمه خصماً؛ كما تقول: ضافه ضيفاً. فإن قلت: هذا جمع. وقوله: «خصمان» تثنية، فكيف استقام ذلك؟ قلت: معنى خصمان: فريقان خصمان، والدليل عليه قراءة من قرأ: خصمان بغى بعضهم على بعض، ونحوه قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]. فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ [ص: ٢٣]

١٣٢٠ ـ ذكره الزيلعي (٣/ ١٨٨)، حديث (١١٠١)، وقال الحافظ لم أجده.

---

(١) قوله: «من أفناء المسلمين» في الصحاح: يقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو. وعبارة النسفي بدل قوله: فهذا ونحوه... إلخ: فلا يليق من المتسمين... إلخ. (ع).

وهو دليل على اثنين؟ قلت: هذا قول البعض، المراد بقوله: بعضنا على بعض. فإن قلت: فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان. قلت: معناه أن التحاكم كان بين ملكين، ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون. فإن قلت: فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعاً خصماً في قوله: ﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ و ﴿خَصْمَانِ﴾؟ قلت: لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به. فإن قلت: بم انتصب (إذ)؟ قلت: لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك، أو بالنبأ، أو بمحذوف، فلا يسوغ انتصابه بأتاك؛ لأنّ إتيان النبأ رسول الله ﷺ لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود، ولا بالنبأ؛ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصحّ إتيانه رسول الله ﷺ. وإن أردت بالنبأ: القصة في نفسها لم يكن ناصباً، فبقي أن ينتصب بمحذوف، وتقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم. ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل، وأما إذ الثانية فبدل من الأولى. ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ تصعدوا سوره ونزلوا إليه، والسور: الحائط المرتفع ونظيره في الأبنية: تسنمه، إذ علا سنامه، وتذرّاه: إذا علا ذروته. روي: أنّ الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين، فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس فتسوّرا عليه المحراب، فلم يشعر إلاّ وهما بين يديه جالسان ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: إنّ داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء: يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بخواص أموره، ويوماً يجمع ٢/١٣٦أ بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم؛ فجاءوه في غير يوم القضاء ففزع منهم، ولأنهم نزلوا عليه من فوق، وفي يوم الاحتجاب، والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه ﴿خَصْمَانِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: نحن خصمان. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ ولا تجر. وقرئ: «ولا تشطط»، أي: ولا تبعد عن الحق. وقرئ: ولا تشطط، ولا تشاطط، وكلها في معنى الشطط: وهو مجاوزة الحدّ وتخطي الحق. و ﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وسطه ومحجته، ضربه مثلاً لعين الحق ومحضه.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَخِى﴾ بدل من هذا، أو خبر لـ «إنّ»، والمراد أخوّة الدين، وأخوّة الصداقة والألفة، أو أخوّة الشركة والخلطة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ [ص: ٢٤] كل واحدة من هذه الأخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم. وقرئ: «تسع وتسعون»، بفتح التاء. ونعجة، بكسر النون، وهذا من اختلاف اللغات، نحو نطع ونطع، ولَقُوَةٌ وَلِقُوَةٌ.[1]

(١) قوله: «نحو نطع ونطع، ولقوة ولقوة» في الصحاح: «النطع» فيه أربع لغات. وفيه «اللقوة»: داء في الوجه، والناقة السريعة اللقاح، والعقاب: الأنثى، واللقوة ـ بالكسر ـ: مثله. (ع).

﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ ملكنيها. وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي. ﴿وَعَزَّنِي﴾ وغلبني، يقال: عزّه يعزّه. قال [من الوافر]:

قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فَـبَـاتَـتْ تُـجَـاذِبُـهُ وَقَـدْ عَـلِـقَ الْـجَـنَـاحُ[١]

يريد: جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أردّه به. وأراد بالخطاب: مخاطبة المحاج المجادل، أو أراد: خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطاباً، أي: غالبني في الخطبة فغلبني؛ حيث زوّجها دوني. وقرئ: «وعازني» من المعازة وهي المغالبة. وقرأ أبو حيوة: «وعزني» بتخفيف الزاي طلباً للخفة، وهو تخفيف غريب، وكأنه قاسه على نحو: ظلت، ومست. فإن قلت: ما معنى ذكر النعاج؟ قلت: كأن تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً؛ لأنّ التمثيل أبلغ في التوبيخ؛ لما ذكرنا، وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه، فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به، وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته، ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه، وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده، والدليل عليه قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ [ص: ٢٤] وإنما خصّ هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة. فإن قلت: إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال، فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم. قلت: الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة، كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله [من الكامل]:

يَـا شَـاةَ مَـا قَـنَـصٍ لِـمَـنْ حَـلَّـتْ لَـهُ ....[٢]

* * *

---

(١) كـأن الـقـلـب لـيـلـة قـيـل يـغـدى بـلـيـلـى الـعـامـريـة أو يـراح
قـطـاة عـزهـا شـرك فـبـاتـت تـجـاذبـه وقـد عـلـق الـجـنـاح

لقيس بن الملوح مجنون ليلى العامرية، وقطاة: خبر كأن، وعزها: بمهملة فمعجمة، بمعنى: غلبها وحبسها، يقال: عز يعز بالكسر: تعظم، وبالفتح: قوي. وعزه يعزه ـ بالضم ـ: غلبه، وما هنا من الثالث: شبه قلبه حين سمع برحيلها بحمامة أمسك الشرك جناحها في كثرة الخفقان والاضطراب.

(٢) يـا شـاة مـا قـنـص لـمـن حـلـت لـه حـرمـت عـلـيّ ولـيـتـهـا لـم تـحـرم

لعنترة من معلقته يتذكر محبوبته بعد وقوع الحرب بينه وبين قبيلتها؛ فلذلك حرمت عليه. وقيل: كان تزوجها أبوه فحرمت عليه، شبهها بالشاة الوحشية في الحسن والجمال والنفرة عن الرجال، وأن كلا يصطاد بالاحتيال على طريق الاستعارة التصريحية، وذكر القنص ترشيح؛ لأنه يلائم الشاة، وما زائدة، أي يا شاة القنص تعالي، فهذا وقت التفكر في شأنك. وقيل: المنادى محذوف، أي: يا قوم أحضروا شاة قنص، وتعجبوا من حالها، والقنص: الصيد. والقنص ـ بالتحريك ـ والقنيص: المصيد. ويروى: يا شاة من قنص، فقيل: من زائدة، بناء على مذهب الكوفيين، من جواز زيادة =

[من الكامل]:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ..... [1]

وشبهها بالنعجة من قال [من الخفيف]:

..... كَنِعَاجِ الْفَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ [2]

= الأسماء. وقيل: نكرة موصوفة. وقنص صفتها من باب الوصف بالمصدر، أي يا شاة إنسان قانص. ولمن حلت: متعلق بمحذوف صفة لها، وحرمت عليّ: التفات على القول بندائها، وهو صفة لها، أو استئناف بيّن به شأنها، وتمنى عدم حرمتها: ندم على ما وقع من سبب الحرمة.

ينظر ديوانه ص ٢١٣، والأزهية ص ٧٩، ١٠٣، ولسان العرب (شوه)، وخزانة الأدب ٦/ ١٣٠، ١٣٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٨١، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١٢، والأشباه والنظائر ٤/ ٣٠٠، وخزانة الأدب ١/ ٣٢٩، والمغني ١/ ٣٢٩، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/ ٤٥٨، والضرائر لابن عصفور ٨١، وارتشاف الضرب ١/ ٥٤٦، والدرر ١/ ١١٠.

(١) قد كنت رائدها وشاة محاذر ... حذر يقل بعينه إغفالها
فظللت أرعاها وظل يحوطها ... حتى دنوت إذا الظلام دنا لها
فرميت غفلة عينه عن شاته ... فأصبت حبة قلبها وطحالها

للأعشى. وقيل: لعمر بن أبي ربيعة. وضمير رائدها مرجعه في البيت قبله كامرأة أو مفازة، ثم قال: ورب شاة رجل محاذر، فاستعار الشاة للمرأة الجميلة على طريق التصريحية. والمحاذر: الذي يحاذر غيره ويخاف مكره. والحذر: كثير الحذر مستمره، يقل: بضم أوله، من أقل الرباعي. وإغفالها، أي: إغفال عينه. فظللت أراقب الشاة وظل هو يحفظها، حتى قربت لها حين قرب الظلام ودخل الليل، فرميت شاته حين غفلة عينه عن شاته التي كان يحفظها، وفيه نوع تهكم به، وأضاف الغفلة إلى العين دون الشخص؛ لأنها المذكورة أولاً، وللدلالة على قصر الزمن وسرعة الظفر، ولأن القلب لا يغفل عنها لعزتها عنده، بل يذكرها في النوم. وأما العين فتغفل، فأصبت حبة قلبها أي وسطه، وأصبت طحالها، والرمي ترشيح للاستعارة؛ لأنه من ملائمات الشاة. ويصح أن يكون هذا البيت استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حالة ظفره بمراده على حين غفلة من الرقيب وإصابة أحشاء المرأة بالحب، بحال من ظفر برمي الشاة بالسهم على غفلة من الراعي، بل يصبح أن يكون قوله: وشاة محاذر... إلى آخر الأبيات: استعارة تمثيلية لتلك الحال، ولا استعارة في الشاة وحدها على هذا.

ينظر ديوانه (ص ٧٧)، لسان العرب (حبب)، (شوه)، كتاب العين /٣/ ٣١)، بلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٨)، تاج العروس (حبب)، أساس البلاغة (حبب).

(٢) قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ... كنعاج الفلا تعسفن رملا
وتنقبن بالحرير وأبدين ... حور المداعج نجلا

لعمر بن أبي ربيعة. وزهر: عطف على ضمير الفاعل المتصل، ومجيئه بلا فصل قليل. وتهادى: أصله تتهادى، حذف منه إحدى التاءين، وهو صفة زهر. وشبههن بالنعاج الوحشية في حسن المشية وسعة العيون وسوادها. والزهر: جمع زهراء، أي: بيضاء، والفلا: القفر الخالي. والتعسف: الميل عن سواء السبيل، وهو حال من النعاج. ورملا: نصب على نزع الخافض، أي: تمايلن في رمل. وتنقبت المرأة: لبست النقاب. وحور: جمع حوراء، أي: صافيات، والمداعج: الحدقات، من الدعج وهو اتساع سواد العين. والنجل: جمع نجلاء، أي: واسعات. =

لولا أنّ الخلطاء تأباه، إلاّ أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلاً لهم ولقصتهم[1]. فإن قلت: الملائكة عليهم السلام كيف صحّ منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم؟ قلت: هو تصوير للمسألة وفرض لها، فصوّروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي، كما تقول في تصوير المسائل: زيد له أربعون شاة، وعمرو له أربعون، وأنت تشير إليهما، فخلطاها وحال عليها الحول، كم يجب فيها؟ وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد[2] وتقول أيضاً في تصويرها: لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها. وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها. فإن قلت: ما وجه قراءة ابن مسعود: «ولي نعجة أنثى[3]»؟ قلت: يقال لك: امرأة أنثى للحسناء الجميلة. والمعنى: وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها، وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها. ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال؛ وقوله [من المتقارب]:

= في ملحق ديوانه ص ٤٩٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٠١، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٥٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٧٦، واللمع ص ١٨٤، والمقاصد النحوية ٤/ ١٦١، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٧٩، والخصائص ٢/ ٣٨٦، وشرح الأشموني ٢/ ٤٢٩، وشرح ابن عقيل ص ٥٠١، والكتاب ٢/ ٣٧٩.

(١) قال محمود: «فإن قلت: طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة، فإن كان من الخطبة فما وجهه؟ قال: الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة، كما استعاروا لها الشاة في قوله [من الكامل]:

يا شاة ما قنص لمن حلت له ....

إلاّ أن لفظ الخلطاء يأباه، اللهم إلا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام، قال أحمد: والفرق بين التمثيل والاستعارة؛ أنه على التمثيل يكون الذي سبق إلى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره، وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم، ثم انتقل بواسطة التنبيه إلى فهم أنه تمثيل لحاله، وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية، ثم استشعر أنه هو المراد بذلك.

(٢) قوله: «وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد» في الصحاح: ما له سبد ولا لبد، أي: لا قليل ولا كثير. والسبد: من الشعر، واللبد: من الصوف. (ع).

(٣) قال محمود: «فإن قلت: فما وجه قراءة ابن مسعود: ولي نعجة أنثى. وأجاب بأنه يقال: امرأة أنثى للحسناء الجميلة، ومعناه: وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها، وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها. ألا ترى إلى وصفهم إياها بالكسول والمكسال، كقوله: «فتور القيام قطيع الكلام». قال أحمد: ولكن قوله: (ولي نعجة) إنما أورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقير؛ ليستجل على خصمه بالبغي لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير، فكيف يليق وصف ما عنده والمراد تقليله بصفة الحسن التي توجب إقامة عذر ما لخصمه؛ ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النعجة، وتأكيد قلتها بقوله: (واحدة)، فهذا إشكال على قراءة ابن مسعود، يمكن الجواب عنه بأن القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا الممثلة بالنعجة فيها مشهورة بالحسن، وصف مثالها في قصة الخصمين بالحسن زيادة في التطبيق؛ لتأكيد التنبيه على أنه هو المراد بالتمثيل.

فَتُورُ الْقِيَامِ قَطُوعُ الْكَلَامِ ..... [1]

وقوله [من المنسرح]:

..... تَمْشِي رُوَيْداً تَكَادُ تَنْغَرِفُ [2]

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ جواب قسم محذوف. وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه. والسؤال: مصدر مضاف إلى المفعول، كقوله تعالى: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، وقد ضمن معنى الإضافة فعدّى تعديتها، كأنه قيل بإضافة ﴿نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ على وجه السؤال والطلب. فإن قلت: كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه[3]؟ قلت: ما قال ذلك إلاّ بعد اعتراف صاحبه، ولكنه لم يحك في القرآن؛ لأنه

---

(١) فتور القيام قطوع الكلام لعوب العشاء إذا لم تنم
تبذ النساء بحسن الحديث ودل رخيم وخلق عمم

الفترة: ضعف حركة الأعضاء في العمل. فهي كثيرة الفترة في القيام. وقطوع الكلام: أي قليلته، أو كأنها لا تقدر على إتمام الألفاظ للينها واستحيائها، فكأنها تقطعها تقطيعاً، كثيرة اللعب في وقت العشاء مع زوجها، وإذا لم تنم: إشارة إلى أنها قد تنام من أول الليل، وهو وصف لها بالكسل الذي هو من توابع اللين والأنوثة. وبذ الرجل: إذا ساء خلقه ورث حاله، وبذه الرجل: إذا غلبه، أي تغلبهن بحسن الحديث، والدل والدلال، والتيه، والتغنيج، والتشكيل، والتكسر، والرخاوة، والرخامة، ورقة الصوت ولينه، والتمنع مع الرضاء. واعتم النبت: طال، واعتم الشيء: تم، وجسم عميم: تام، والجمع عمم، كسرير وسرر، ورجل عمم ـ بالإفراد ـ: أي تام، فالمراد أن خلقها أي جسمها تام حسن.

البيت لامرىء القيس، ينظر ديوانه (ص ١٥٧)، الأشباه والنظائر (٥/ ٢٣١).

(٢) ما أنس سلمى غداة تنصرف تمشي رويداً تكاد تنغرف

حذف ألف أنس للوزن، أي: لا أنساها، بل أتذكرها وقت انصرافها، وتمشي: بدل مما قبله. وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة المستحسنة. ورويداً: نصب يتمشى، أي: مشياً بتؤدة وأناة، تكاد تنغرف: أي تنقطع وتنكسر، وغرفته فانغرف: قطعته فانقطع، أو تكاد تؤخذ من الأرض، كما يغرف الماء باليد، فكأنها ماء لتنكلها وتقطعها في تبخترها. وفرس غروف: كثير الأخذ من الأرض بقوائمه.

البيت لقيس بن الخطيم، ينظر: في ديوانه ص ١٠٦، ولسان العرب (كبر)، (غرف)، وديوان الأدب ١/ ١٨٣، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٠٤، ٨/ ١٠٣، ١٠/ ٢٠٩، وتاج العروس (كبر)، (غرف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٧٩، وأساس البلاغة (خزر).

(٣) قال محمود: «فإن قلت: كيف سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام آخر، وأجاب بأن =

معلوم. ويروى أنه قال: أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة، فقال داود: إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا، وأشار إلى طرف الأنف ٢/١٣٦ب والجبهة، فقال: يا داود أنت أحقّ أن يضرب منك هذا وهذا، وأنت فعلت كيت وكيت، ثم نظر داود فلم ير أحداً، فعرف ما وقع فيه و﴿ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم، الواحد: خليط، وهي الخلطة، وقد غلبت في الماشية؛ والشافعي رحمه الله يعتبرها، فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة، أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلاّ أنّ مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة، فهما يزكيان زكاة الواحد، فإن كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون، فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد. وعند أبي حنيفة: لا تعتبر الخلطة، والخليط والمنفرد عنده واحد، ففي أربعين بين خليطين؛ لا شيء عنده، وفي مائة وعشرين بين ثلاثة: ثلاث شياه. فإن قلت: فهذه الخلطة ما تقول فيها؟ قلت: عليهما شاة واحدة، فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله، وعند أبي حنيفة لا شيء عليه، فإن قلت: ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام؟ قلت: قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة، وأن يكرّه إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم، مع التأسف على حالهم، وأن يسلى المظلوم عما جرى عليه من خليطه، وأنّ له في أكثر الخلطاء أسوة. وقرئ: «ليبغي» بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة، وحذفها كقوله [من المنسرح]:

إِضْرِبَ عَنْكَ الْهُمُومَ طَارِقَهَا ..... (١)

وهو جواب قسم محذوف. وليبغ: بحذف الياء، اكتفاء منها بالكسرة، و (ما) في

= ذلك كان بعد اعتراف خصمه، ولكنه لم يحك في القرآن؛ لأنه معلوم، قال أحمد: ويحتمل أن يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير، أي: إن صح ذلك فقد ظلمك.

(١) إضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسوط قونس الفرس

لطرفة بن العبد، وقال أبو حاتم وابن بري: هو مصنوع عليه. واضرب فعل أمر بنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة تقديراً، وحذفها لغير وقف ولالتقاء الساكنين قليل. وقيل: ضرورة، كما هنا. والمعنى: ادفع عنك الهموم، فهو استعارة مصرحة. وضربك بالسوط، أي: كضربك به ترشيح، وطارقها: بدل من الهموم، أي الفاشي لك منها، والسوط: معمول من جلد تساق به الفرس. ويروى: بالسيف، لكنه غير ملائم للفرس، بل للفارس، وقونسها: أعلى رأسها. وقيل: شعر عنقها. ويجوز تشبيه الهموم بحيوان يصح ضربه على طريق المكنية. والضرب تخييل، والطروق ترشيح.

ينظر: النوادر (١٦٥)، الخصائص (١/١٢٦)، الممتع (١/ ٣٢٣) شرح المفصل لابن يعيش (٩/ ٤٤)، الدر المصون (٦/ ٩١).

﴿بِقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ للإبهام. وفيه تعجب من قلتهم. وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها، من قول امرىء القيس [من المديد]:

. . . . . وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصَرِهْ[1]

وانظر هل بقي له معنى قط، لما كان الظنّ الغالب يداني العلم، استعير له. ومعناه: وعلم داود وأيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّهُ﴾ أنا ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا، هل يثبت أو يزل؟ وقرئ: «فتناه» بالتشديد للمبالغة. وأفتناه، من قوله [من الطويل]:

لَئِنْ فَتَنَتْنِي لَهْيَ بِالأَمْسِ أَفْتَنَتْ . . . . . [2]

وفتناه وفتناه، على أن الألف ضمير الملكين. وعبر بالراكع عن الساجد؛ لأنه ينحني ويخضع كالساجد. وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أنّ الركوع يقوم مقام السجود. وعن الحسن: لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع، ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتي الاستغفار والإنابة، فيكون المعنى: وخرّ للسجود راكعاً أي: مصلياً؛ لأنّ الركوع يجعل عبارة عن الصلاة، ﴿وَأَنَابَ﴾ ورجع إلى الله تعالى بالتوبة والتنصل. وروي أنه بقي ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه إلاّ لصلاة مكتوبة أو ما لا بدّ منه، ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه، ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع (١٣٢١)، وجهد نفسه راغباً إلى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك، واشتغل

١٣٢١ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٤)، حديث (٢٩٨٥٨)، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٧٠) وعزاه لعبد الله بن أحمد والطبري عن مجاهد.

---

(١) تقدم.

(٢) لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت سعيداً فأمسى قد قلى كل مسلم
وألقى مصابيح القراءة واشترى وصال الغواني بالكتاب المنمنم

للأعشى الهمداني. وفتنته المرأة ـ بالتخفيف والتشديد ـ وأفتنته: دلهته وحيرته. و«لهي بالأمس أفتنت» جواب القسم المدلول عليه باللام في قوله: لئن فتنتني. وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم. والمعنى: إن فتنتني فلا أحزن ولا أتعجب، فإن تلك عادتها من قبل، فالمراد بالأمس: الزمن الماضي. وسعيد: هو ابن جبير، كان عالماً تقيًا. وقلى كل مسلم، أي: بغض كل مسلم سواها. وعبر بالمسلم؛ لأنه يبعد بغضه. والمصابيح: يجوز أنها حقيقة، وأنها مجاز عن الكتب. والغواني: الجميلات. والمنمنم: المحسن بنقوش الكتابة.
ينظر: لسان العرب (فتن)، والمخصّص ٤/ ٦٢، وتاج العروس (فتن)، ولابن قيس الرقيات في الخصائص ٣/ ٣١٥، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (فتن)، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٨٩، وجمهرة اللغة ص ٤٠٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٧٣، وديوان الأدب ٢/ ٣٣٤، وكتاب العين ٨/ ١٢٨.

بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له: إيشا على ملكه ودعا إلى نفسه، واجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل، فلما غفر له حاربه فهزمه. وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها (١٣٢٢). وقيل: إنّ الخصمين كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما: إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري، والثاني معسراً ما له إلا امرأة واحدة، فاستنزله عنها، وإنما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين، وما كان ذنب داود إلاّ أنه صدّق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته[1].

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: استخلفناك على الملك في الأرض، كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها. ومنه قولهم: خلفاء الله في أرضه. وجعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحقّ. وفيه دليل على أنّ حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بحكم الله تعالى؛ إذ كنت خليفته ﴿وَلَا تَتَّبِعِ﴾ هوى النفس في قضائك وغيره، مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى فيكون سبباً لضلالك ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دلائله التي نصبها في العقول،

١٣٢٢ ـ أخرجه ابن جرير (١٠/ ٥٧٢)، حديث (٢٩٨٥٤)، عن عطاء الخرساني، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٧٠) وعزاه لأحمد والحكيم الترمذي والطبري عن عطاء الخرساني.

---

(١) قال محمود: «ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلاً وإنما كانت من البشر، إما خليطين في الغنم حقيقة، وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى، والثاني معسراً وما له إلاّ امرأة واحدة، فاستنزله عنها، وفزع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء، وما كان ذنب داود إلاّ أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه إلى الظلم قبل مسألته، قال أحمد: مقصود هذا القائل تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء، فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب إلى العجلة في نسبة الظلم إلى المدعى عليه؛ لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب، وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى، ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلاّ والذي صدر منه أولاً وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس، وقد التزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: داود وغيره ـ منزهون من الوقوع في صغائر الذنوب مُبَرَّءون من ذلك، والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال هذه القصة، وهذا هو الحق الأبلج، والسبيل الأبهج، إن شاء الله تعالى.

وعن شرائعه التي شرعها وأوحى بها، و ﴿يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ متعلق بنسوا، أي: بنسيانهم يوم الحساب، أو بقوله: (لهم)، أي: لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله. وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهري: هل سمعت ما بلغنا؟ قال: وما هو؟ قال: بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية. فقال: يا أمير المؤمنين، الخلفاء أفضل أم الأنبياء؟ ثم تلا هذه الآية.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿بَٰطِلًا﴾ أي خلقاً باطلاً، لا لغرض صحيح وحكمة بالغة. أو مبطلين عابثين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ٢/١٣٧أ [الدخان: ٣٩] وتقديره: ذوي باطل أو عبثاً، فوضع باطلاً موضعه، كما وضعوا هنيئاً موضع المصدر، وهو صفة، أي: ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب، ولكن للحق المبين، وهو أن خلقناها نفوساً[1] أودعناها العقل والتمييز، ومنحناها التمكين، وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف، وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم. و ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلاً، والظنّ: بمعنى المظنون، أي: خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا. فإن قلت: إذا كانوا مقرّين بأن الله خالق السمٰوات والأرض وما بينهما بدليل قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] فبم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة؟ قلت: لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤدياً إلى أن خلقها عبث وباطل جُعِلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه؛ لأنّ الجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها، فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها، ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق، وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره، فكان إقراره بكونه خالقاً كلا إقرار.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعة. ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمراد: أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد، واتقى وفجر، ومن سوّى بينهم كان سفيهاً ولم يكن حكيماً.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

(١) قوله: «وهو أن خلقناها نفوساً» عبارة النسفي: وهو أنا خلقنا نفوساً.

وقرئ: «مباركاً»، وليتدبروا: على الأصل، ولتدبروا: على الخطاب. وتدبر الآيات: التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة؛ لأن من اقتنع بظاهر المتلو، لم يحل منه بكثير طائل[1]، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها. وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله: حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة[2]، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء. اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين، وأعذنا من القراء المتكبرين.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

وقرئ: «نعم العبد» على الأصل[3]، والمخصوص بالمدح محذوف. وعلل كونه ممدوحاً بكونه أوّاباً رجاعاً إليه بالتوبة. أو مسبحاً مؤوّباً للتسبيح مرجعاً له: لأن كل مؤوّب أوّاب. والصافن: الذي في قوله [من الكامل]:

أَلِفَ الصَّفُونَ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلاَثِ كَسِيرا[4]

---

(١) قوله: «لم يحل منه بكثير طائل» في الصحاح: قولهم: «لم يحل منه بطائل» أي: لم يستفد منه كبير فائدة. وفيه: اللقح ـ بالكسر ـ: الإبل بأعيانها، الواحدة لقوح، وهي الحلوب، مثل: قلوص وقلاص: واللقحة: اللقوح، والجمع لقح مثل قربة قرب، وفيه: ناقة درور، أي: كثيرة اللبن. وفيه: النثور، أي: كثيرة الولد.

(٢) قوله: «ولا الوزعة»، جمع وازع، وهو الذي يكف عن الضرر، والذي يتقدم الصف فيصلحه بالتقديم والتأخير. أفاده الصحاح. (ع).

(٣) قوله: «قرئ نعم العبد على الأصل» لعله بفتح النون وكسر العين. كما يفيده الصحاح. (ع).

(٤) لامرىء القيس. وقيل: للعجاج يصف فرساً. والصفون ـ بالمهملة ـ: الوقوف على سنبك يد أو رجل. والسنبك: طرف حافر الفرس. والصفون ـ بالمعجمة ـ: الجمع بين اليدين في الوقوف، ومما يقوم: خبر كأن، أي: أحب الصفون، كأنه من الجنس الذي يقوم على ثلاث قوائم، أو كأنه مخلوق من القيام على ثلاثة كخلق الإنسان من عجل، حال كونه مكسور القائمة الرابعة، أو كاسرها أي ثانيها، فما موصولة أو مصدرية. وكسيراً: حال، والجملة: خبر يزال، وهذا ما استقر عليه رأي ابن الحاجب في الأمالي بعد كلام طويل، ولو جعلت ما مصدرية، وكسيراً: خبر كأن، كان حقه الرفع، ولو جعلته خبر يزال كما اختاره ابن هشام، لكان المعنى: فلا يزال كسيراً، كأنه مما يقوم =

وقيل: الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل: هو المتخيم. وأما الصافن: فالذي يجمع بين يديه. وعن النبي ﷺ: «من سره أن يقوم الناس له صفوفاً فليتبوّأ مقعده من النار» (١٣٢٣) أي: واقفين كما خدم الجبابرة. فإن قلت: ما معنى وصفها بالصفون؟ قلت: الصفون لا يكاد يكون في الهجن، وإنما هو في العراب الخلص. وقيل: وصفها بالصفون والجودة؛ ليجمع لها بين الوصفين المحمودين: واقفة وجارية، يعني: إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها. وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس. وقيل: ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة. وقيل: خرجت من البحر لها أجنحة، فقعد يوماً بعد ما صلى الأولى على كرسيه[1] واستعرضها، فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي، وتهيبوه فلم يعلموه، فاغتم لما فاته، فاستردها وعقرها مقرباً[2] لله، وبقي مائة، فما بقي في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها، وقيل: لما عقرها أبدله الله خيراً منها، وهي الريح تجري بأمره. فإن قلت: ما معنى: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾؟ قلت: أحببت: مضمن معنى فعل يتعدى بعن، كأنه قيل: أنبت حب الخير عن ذكر ربي. أو جعلت حب الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربي. وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان: أن «أحببت» بمعنى: لزمت من قوله [من الرجز]:

١٣٢٣ ـ أخرجه أبو داوود (٤/ ٣٩٧، ٣٩٨): كتاب الأدب: باب قيام الرجل للرجل، حديث (٥٢٢٩)، والترمذي (٥/ ٩٠، ٩١): كتاب الأدب: باب ما جاء من كراهية قيام الرجل للرجل (٢٧٥٥)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٣٥٧، ٣٥٨، بتحقيقنا): كتاب الاستئذان باب لا يقيم الرجل...، حديث (٣٢٢٣)، والطبراني في معجمه الكبير (١٩/ ٣٢٠)، حديث (٧٢٤)، وأحاديث (٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٥٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٤)، حديث (٢٥٥٨٢)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٣٦)، حديث (٢٥٣١)، عن أبي مجلز قال خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير.
وذكره الزيلعي (٣/ ١٨٩)، حديث (١١٠٢)، وقال: غريب ـ أي بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، أو في السنن حديث معاوية «من سره أن يتمثل الناس له قياماً» وفي الغريب لأبي عبيد من حديث البراء، رضي الله عنه، كنا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ ـ فرفع رأسه قمنا معه صفوفاً. انتهى.

= على الثلاث، على ما مر. ويجوز أن يكون المعنى: فلا يزال كسيراً من قيامه على الثلاث، وكأنه اعتراض، وخبره محذوف، أي كأنه كسير. وفائدته الاحتراس.
ينظر: الأزهية (ص ٨٧)، أمالي ابن الحاجب (٢/ ٦٣٥)، شرح شواهد المغني (٢/ ٧٢٩)، لسان العرب (صفن)، معني اللبيب (١/ ٣١٨)، البحر المحيط (٧/ ٣٨٨)، الدر المصون (٥/ ٥٣٤).

(١) قوله: «بعد ما صلى الأولى على كرسيه» عبارة النسفي. صلى الظهر. (ع).

(٢) قوله: «وعقرها مقرباً لله» عبارة النسفي: تقربا. (ع).

مِثْلُ بَعِيرِ السُّوءِ إِذْ أَحَبَّا[1]

وليس بذاك. والخير: المال، كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] والمال: الخيل التي شغلته. أو سمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها. قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» (١٣٢٤) وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم: «ما وُصف لي رجل

١٣٢٤ ـ ورد عن جماعة من الصحابة: منهم، عروة البارقي، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وجرير بن عبد الله، وأبي كبشة، وابن مسعود وجابر.
أما حديث عروة البارقي فأخرجه البخاري ٦/ ٦٤ في الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير (٢٨٥٠)، و(٦/ ٦٦)، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر (٢٨٥٢)، و٦/ ٢٥٣ في فرض الخمس (٣١١٩)، ٦/ ٧٣١ في المناقب (٣٦٤٣). ومسلم ٣/ ٩٣ ١٤ في الإمارة. باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٩٨/ ٩٩/ ٨٧٣)، والنسائي ٦/ ٢٢٢ في الجهاد، باب فتل ناصية الفرس، وابن ماجه ٢/ ٩٢٣ في الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله (٢٧٨٦)، وأحمد ٤/ ٣٧٥، ٣٧٦، وأبو يعلى (٦٨٢٨)، والحميدي في مسنده ٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ برقم (٨٤١، ٨٤٢)، والدارمي ٢/ ٢١١، ٢١٢ في الجهاد، باب فضل الخيل في سبيل الله، وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ١٩٨ في الجهاد. باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٢٤٢٦) والطيالسي في الجهاد ١/ ٢٤١ برقم (١١٨٤، ١١٨٥)، والطبراني ١٧/ ١٥٥ برقم (٣٩٦ ـ ٤٠٠). والبيهقي ٦/ ١١٢ في القراض، باب المضارب يخالف بما فيه زيادة لصاحبه و٦/ ٣٢٩ في قسم الفيء، باب الإسهام للفرس دون غيره من الدواب، ٩/ ٥٢ في السير. باب تفضيل الخيل و١٠/ ١٥ في كتاب السبق والرمي، باب ارتباط الخيل عدة في سبيل الله عز وجل. والطحاوي في شرح معاني الآثار =

---

(١) كيف قربت عمك القرشبا؟ حين أتاك لاغباً مخبا
حلت عليه بالقفيل ضربا تبًّا لمن بالهون قد ألبا
مثل بعير السوء إذ أحبا

لأبي محمد الفقعسي. والقرشب ـ بكسر أوله وفتح ثالثه ـ: المسن، واللاغب، من اللغوب: وهو التعب. والمخب من أخبه: إذا حمله على الخبب، وهو نوع من السير. أو من أخب: إذا لزم المكان كما قيل. وحلت: أي قمت ووثبت عليه. والقفيل: السوط. وضربا: بمعنى ضاربا. أو تضربه ضرباً. والتب: الهلاك، وهو دعاء عليه، وفعله محذوف وجوباً. والهون ـ بالضم ـ: الهوان: وألب بالمكان: أقام به، ورواه الأصمعي هكذا:

كيف قربت شيخك الأذبا؟ لما أتاك يابسا قرشبا
قمت عليه بالقفيل ضربا مثل بعير السوء إذ أحبا

والذبب: كثرة الشعر وطوله. والأذب: البعير نبت على حاجبيه شعيرات، فإذا ضربته الريح نفر وهاج. وقال الجوهري: الإخباب: البروك. وهو في الإبل كالحران في الخيل.
ينظر: جمهرة اللغة ص ٣٠٨، وشرح المفصل ١/ ٢٨، والكتاب ٣/ ٣٢٦، ولسان العرب (حبب)، (رزب)، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ١٢٣، ومجالس ثعلب ١/ ٢٠٢، والمقتضب ٤/ ٩، وتاج العروس (حبب).

فرأيته إلا كان ٢/ ١٣٧ب دون ما بلغني إلا . . . . . .

= ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٢٧ والبغوى في شرح السنة. بتحقيقنا ٥/ ٥٣٠ في السير والجهاد، باب اتخاذ الخيل للجهاد (٢٦٣٩) من طرق عنه به.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه البخاري ٦/ ٦٤ في الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٢٨٤٩)، ٦/ ٧٣١ في المناقب (٣٦٤٤) ومسلم ٣/ ١٤٩٢، ١٤٩٣ في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٩٦/ ١٨٧١) عن النسائي ٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٢ في الخيل، باب فتل ناصية الفرس.

وأما حديث جرير فأخرجه مسلم ٣/ ١٤٩٣ في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٩٧/ ١٨٧٢)، والنسائي ٦/ ٢٢١ في الخيل، باب فتل ناصية الفرس. وأحمد ٤/ ٣٦١. والطحاوي ٣/ ٢٧٤ والبغوي في شرح السنة بتحقيقنا ٥/ ٥٣٠ برقم (٢٦٤٠) من طريق يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة عن جرير بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بأصبعه وهو يقول: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة».

وأما حديث أبي كبشة فأخرجه الطبراني ٢٢/ ٣٣٩ برقم (٨٤٩) وابن حبان (١٦٣٥ ـ موارد) والطحاوي ٢/ ٢٧٤، والحاكم ٢/ ٩١ ـ من طريق ابن وهب حدثني معاوية بن صالح. حدثني نعيم ابن زياد أنه سمع أبا كبشة صاحب النبي ﷺ يقول: الخيل معقود في نواصيها الخير، وأهلها معانون عليها. والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه الزيادة، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٦٢. رجاله ثقات.

وأما حديث ابن مسعود عند أبي يعلى (٥٣٩٦). قال حدثنا داود بن رشيد. حدثنا بقية بن الوليد عن علي بن علي حدثني يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن مسعود قال: جاءه رجل فقال: أسمعت رسول الله ﷺ يقول في الخيل شيئاً؟ قال: نعم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الخيل معقود فذكره مطولاً.

وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٨٠ وقال: رواه أبو يعلى. وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس. وبقية رجاله ثقات.

وأما حديث جابر فأخرجه أحمد ٣/ ٣٥٢ من طريق إبراهيم بن إسحاق وعلي بن إسحاق، حدثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم حدثني حصين بن حرملة عن أبي مصبح عن جابر به.

وأخرجه أبو يعلى في معجم شيوخه(١٩٥) من طريق يحيى بن سعيد الأموي عن مجاهد عن الشعبي عن جابر عن النبي ﷺ مرفوعاً.

وأخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٥٥٧ من طريق الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن الصباح. حدثنا علي بن ثابت عن الوازع عن أبي سلمة عن جابر.

وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٦١ وقال: رواه أحمد، والطبراني في الأوسط باختصار ورجال أحمد ثقات.

وقال الحافظ في الفتح ٦/ ٦٧: روى حديث الخيل معقود في نواصيها الخير. جمع من الصحابة غير من تقدم ذكره. وهم ابن عمر وعروة وأنس وجرير وممن لم يتقدم سلمة بن نفيل ٦/ ٢١٤، وأبو هريرة عند النسائي. وعتبة بن عبد السلمي عند أبي داود (٢٥٤٢) وجابر، وأسماء بنت يزيد (٦/ ٤٥٥) وأبو ذر ٥/ ١٨١ عند أحمد وابن مسعود عند أبي يعلى وأبو كبشة عند أبي عوانة وابن =

زيد الخيل» (١٣٢٥) وسماه زيد الخير. وسأل رجل بلالاً رضي الله عنه عن قوم يستبقون: من السابق؟ فقال: رسول الله ﷺ. فقال له الرجل: أردت الخيل. فقال: وأنا أردت الخير (١٣٢٦). والتواري بالحجاب: مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك. أو المخبأة بحجابهما. والذي دلّ على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي، ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر. وقيل: الضمير للصافنات، أي: حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام. ومن بدع التفاسير: أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه. ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ فجعل يمسح مسحاً، أي: يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها، يعني: يقطعها. يقال: مسح علاوته، إذا ضرب عنقه، ومسح المسفر الكتاب[1] إذا قطع أطرافه بسيفه. وعن الحسن: كسف عراقيبها وضرب أعناقها، أراد بالكسف: القطع، ومنه: الكسف في ألقاب الزحاف في العروض. ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف. وقيل: مسحها بيده؛ استحساناً لها وإعجاباً بها. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؟ قلت: بمحذوف، تقديره: قال ردّوها عليّ، فأضمر وأضمر ما هو جواب له، كأن قائلاً قال: فماذا قال سليمان؟ لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاءً ظاهراً، وهو اشتغال نبيّ من أنبياء الله بأمر الدنيا، حتى تفوته الصلاة عن وقتها. وقرئ: «بالسؤوق» بهمز الواو لضمتها، كما في

= حبان في صحيحيهما. وحذيفة عند البزار. وأبو أمامة وعريب، وهو بفتح المهملة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم موحدة ـ المليكي، والنعمان بن بشير وسهل بن الحنظلية عند الطبراني، وعن علي عند ابن أبي عاصم في الجهاد...»

وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. انتهى.

١٣٢٥ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٣٣٧) في وفد طيء، وابن سعد في الطبقات (١/٢٤٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٣٦ تهذيب)، وابن إسحاق (١٩٦١ ـ سيرة ابن هشام)، والحديث بلفظ ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلاّ رأيته دون ما يقال لي منه إلاّ زيد الخيل، وقال الحافظ: ذكره ابن إسحاق في المغازي بغير سند، والبيقهي في الدلائل من طريقه، وذكره ابن سعد عن الواقدي بأسانيد له مقطوعة. انتهى.

١٣٢٦ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/١٩١)، حديث (١١٠٥) وعزاه لإبراهيم الحربي، وقال: رواه إبراهيم الحربي في كتابه: حدثنا ابن عائشة، عن أبي عوانة عن مغيرة. عن الشعبي قال: كان رهان فقال رجل لبلال: من سبق؟ قال: رسول الله ﷺ، قال فمن صلى؟ قال: أبو بكر، قال: إنما أعني في الخيل: قال وأنا أعني في الخير. انتهى. ذكره في باب صلى قال: والمصلي الذي يجيء على أثر السابق، قال الحافظ ابن حجر. أخرجه إبراهيم الحربي من رواية مغيرة عن الشعبي قال: كان رهان. فقال رجل لبلال: من سبق؛ قال: رسول الله ﷺ. قال: فمن صلى؟ قال: أبو بكر. قال: إنما أعني في الخيل. قال: وأنا أعني في الخير، انتهى.

---

(١) قوله: «ومسح المسفر الكتاب» الذي في الصحاح: سفرت الكتاب أسفره سفراً. وسفرت المرأة: كشفت عن وجهها. وأسفر الصبح: أي أضاء. وأسفر وجهه حسناً، أي: أشرق، فليحرر. (ع).

أدؤر. ونظيره: الغؤر، في مصدر غارت الشمس. وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق، كما قيل: مؤسى، ونظير ساق وسوق: أسد وأسد. وقرئ: «بالساق» اكتفاء بالواحد عن الجمع؛ لأمن الإلباس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

قيل: فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة. وملك بعد الفتنة عشرين سنة. وكان من فتنته: أنه ولد له ابن، فقالت الشياطين: إن عاش لم ننفك من السخرة، فسبيلنا أن نقتله أو نخبله، فعلم ذلك، فكان يغذوه في السحابة،[1]، فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتاً، فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه، فاستغفر ربه وتاب إليه. وروي عن النبي ﷺ: قال سليمان: «لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهنّ، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» (١٣٢٧)، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾. وهذا ونحوه مما لا بأس به. وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان، فالله أعلم بصحته. حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر، وأنّ بها ملكاً عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر، فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها، وكانت لا يرقأ دمعها حزناً على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها، فكستها مثل كسوته، وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه، فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة، ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد، فجلس عليه تائباً إلى الله متضرّعاً، وكانت له أمّ ولد يقال لها: أمينة، إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها، وكان ملكه في خاتمه،

١٣٢٧ ـ أخرجه البخاري (٦/ ١١٦، ١١٧): كتاب الجهاد والسير: باب من طلب الولد للجهاد، حديث (٢٨١٩)، وأطرافه في (٣٤٢٤، ٥٢٤٢، ٦٦٣٩، ٦٧٢٠، ٧٤٦٩)، ومسلم (٦/ ١٣١ نووي): كتاب الأيمان: باب الاستثناء، حديث (٢٢ ـ ٢٥/ ١٦٥٤) والنسائي (٧/ ٢٦) كتاب الأيمان: باب إذا حلف فقال له رجل: إن شاء الله هل له استثناء، حديث (٣٨٤٠) وأحمد (٢/ ٢٧٥)، ٢/ ٢٢٩، ٥٠٦) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٤٤): كتاب الأيمان، باب من قال وأيم الله، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ١٨٠)، حديث (٤٣٣٧، ٤٣٣٨) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انتهى.

---

(١) قوله: «فكان يغذوه» في الصحاح: غذوت الصبي باللبن، أي ربيته به فاغتذى. (ع).

فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر ـ وهو الذي دلّ سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر ـ على صورة سليمان، فقال: يا أمينة خاتمي، فتختم به وجلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس، وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته، فعرف أنّ الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف، فإذا قال: أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه، ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كلّ يوم سمكتين، فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان، وسأل آصف نساء سليمان فقلن: ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة. وقيل: بل نفذ حكمه في كل شيء إلاّ فيهنّ، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر، فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان، فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم، فتختم به ووقع ساجداً، ورجع إليه ملكه، وجاب صخرة لصخر[1] فجعله فيها، وسدّ عليه بأخرى، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص، وقذفه في البحر (١٣٢٨). وقيل: لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها، فقال له آصف: إنك لمفتون بذنبك، والخاتم لا يقرّ في يدك، فتب إلى الله عز وجل. ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا: هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل. وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام، وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهنّ قبيح، وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ٢/١٣٨أ ألا ترى إلى قوله: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]، وأما السجود للصورة فلا يظن بنبيّ الله أن يأذن فيه، وإذا كان بغير علمه فلا عليه. وقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ

١٣٢٨ ـ أخرجه النسائي في تفسيره (١/١٨٦) حديث (١٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال كان الذي أصاب سليمان بن داوود في سبب امرأة من أهله ـ يقال لها جرادة. . .

وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٥، ٣٦) عن ابن عباس، وقال: إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما، إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون بنبوة سليمان. . .، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله تعالى أعلم بالصواب.

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٩٢)، حديث (١١٠٧)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث ابن عباس. وقال ابن حجر: أخرجه النسائي في التفسير من رواية المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإسناده قوي، وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس قريباً مما أورده المصنف. انتهى.

---

(١) قوله: «وجاب صخرة لصخر» أي: خرق أو قطع، أفاده الصحاح. (ع).

كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ نابٍ عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبوّاً ظاهراً.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

قَدَّم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم. ﴿لَّا يَنۢبَغِى﴾ لا يتسهل ولا يكون. ومعنى ﴿مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ دوني. فإن قلت: أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره؟ قلت: كان سليمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوّة ووارثاً لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب إلفه ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حدّ الإعجاز؛ ليكون ذلك دليلاً على نبوّته قاهراً للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات، فذلك معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ وقيل: كان ملكاً عظيماً، فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه، كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] وقيل: ملكاً لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي، كما سلبته مرّة وأقيم مقامي غيري. ويجوز أن يقال: علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين، وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره، وأوجبت الحكمة استيهابه، فأمره أن يستوهبه إياه، فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده. أو أراد أن يقول: ملكاً عظيماً فقال: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾، ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته، كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، وربما كان للناس أمثال ذلك، ولكنك تريد تعظيم ما عنده. وعن الحجاج أنه قيل له: إنك حسود، فقال: أحسد مني من قال: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ وهذا من جرأته على الله وشيطنته، كما حكي عنه: طاعتنا أوجب من طاعة الله؛ لأنه شرط في طاعته فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وأطلق طاعتنا فقال: ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

قرئ: «الريح» والرياح. ﴿رُخَآءً﴾ لينة طيبة لا تزعزع. وقيل: طيعة له لا تمتنع عليه. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ حيث قصد وأراد. حكى الأصمعي عن العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب. وعن رؤبة أنّ رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة، فخرج إليهما فقال: أين تصيبان؟ فقالا: هذه طلبتنا ورجعا، ويقال: أصاب الله بك خيراً. ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾

عطف على الريح، ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدل من الشياطين، ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على كل داخل في حكم البدل، وهو بدل الكل من الكل، كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية، ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ، وهو أوّل من استخرج الدرّ من البحر، وكان يقرّن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل؛ للتأديب والكف عن الفساد. وعن السدي: كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجوامع[1] (١٣٢٩). والصفد: القيد، وسمي به العطاء؛ لأنه ارتباط للمنعم عليه، ومنه قول عليّ رضي الله عنه: من برّك فقد أسرك، ومن جفاك فقد أطلقك. ومنه قول القائل: غلّ يداً مطلقها، وأرقّ رقبة معتقها. وقال حبيب: إنّ العطاء إسار؛ وتبعه من قال [من الطويل]:

. . . . . وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا[2]

وفرقوا بين الفعلين فقالوا: صفده قيده، وأصفده أعطاه، كوعده وأوعده، أي: ﴿هَٰذَا﴾ الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة ﴿عَطَآؤُنَا﴾ بغير حساب، يعني: جمًّا كثيراً لا يكاد يقدر على حسبه وحصره؛ ﴿فَٱمْنُنْ﴾ من المنة وهي العطاء، أي: فأعط منه ما شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ مفوّضاً إليك التصرف فيه. وفي قراءة ابن مسعود: (هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب) أو هذا التسخير عطاؤنا، فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق، وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب، أي لا حساب عليك في ذلك.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

١٣٢٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٨٥) حديث (٢٩٩٢٨) بلفظ تجمع اليدين إلى عنقه. عن السدي.

---

(١) قوله: «في الجوامع» في الصحاح؛ «الجامعة»: الغل؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق. (ع).

(٢) وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

للمتنبي، يقول: تركت سير الليل وراء ظهري، أي: بالغت في تركه لمن قل ماله؛ لأنه لا زال يبتغيه، واكتفيت بنعمتك العظمى، وشبه الآمال التي امتدت إليه وبلغت مناها، بأفراس منعلة بالذهب على طريق التصريحية، والأنعال ترشيح. ويجوز أن ذلك كناية عن عظم النعمة، واستعار التقييد للمنع عن التطلع لغير الممدوح وقصر المدح عليه. ويجوز أنه شبه نفسه بحيوان، والتقييد: تخييل. والذرا ـ بالفتح ـ: كل ما ستر الشيء، يقال: أنا في ظل الجبل وفي ذراه، أو في ظل فلان وفي ذراه، أي: في كنفه وحماه، ومحبة: مفعول لأجله، وشبه الإحسان بالقيد؛ لأنه سبب استملاك النفس.

﴿أَيُّوبَ﴾ عطف بيان. و ﴿إِذْ﴾ بدل اشتمال منه. ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ بأني مسني: حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك لقال بأنه مسّه؛ لأنه غائب. وقرئ: «بنصب» بضم النون وفتحها مع سكون الصاد، وبفتحهما، وضمهما، فالنصب والنصب: كالرشد الرشد، والنصب: على أصل المصدر، والنصب: تثقيل نصب، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم، يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب[1]. وقيل: ٢/ ١٣٨ب الضرّ في البدن، والعذاب في ذهاب الأهل والمال. فإن قلت: لم نسبه إلى الشيطان، ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرّر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟ قلت: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل. وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين، فارتد أحدهم، فسأل عنه فقيل: ألقى إليه الشيطان: إنَّ الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين. وذكر في سبب بلائه أنّ رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه (١٣٣٠). وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر، فداهنه ولم يغزه. وقيل: أعجب بكثرة ماله. ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام، أي: اضرب برجلك الأرض. وعن قتادة: هي أرض الجابية[2] فضربها، فنبعت عين، فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي: هذا ماء تغتسل به وتشرب منه؛ فيبرأ باطنك وظاهرك، وتنقلب ما بك قلبة[3]. وقيل: نبعت له عينان، فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله، وقيل: ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ مفعول لهما، والمعنى: أنّ الهبة كانت للرحمة له ولتذكير

١٣٣٠ ـ ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨٩)، وعزاه لابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، بلفظ: إنما كان، ذنب أيوب أنه استعان به مسكين على ظلم يدرؤه عنه فلم يعنه، ولم يأمر بمعروف وينه الظالم عن ظلم المسكين فابتلاه الله.

---

(١) قوله: «من أنواع الوصب»، في الصحاح: «الوصب»: المرض. (ع).

(٢) قوله: «هي أرض الجابية» مدينة بالشام، كما في الصحاح. (ع).

(٣) قوله: «وتنقلب ما بك قلبة»، في الصحاح: «القلاب» داء يأخذ البعير. وقولهم: ما به قلبة، أي: ليست به علة. (ع).

أولي الألباب؛ لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره، رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم. ﴿وَخُذْ﴾ معطوف على اركض. والضغث: الحزمة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. وعن ابن عباس: قبضة من الشجر، كان حلف في مرضه ليضربنّ امرأته مائة إذا برئ، فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها، وهذه الرخصة باقية. وعن النبي ﷺ: أنه أتي بمخدج[1]، وقد خبث بأمة، فقال: «خذوا عثكالاً فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة» (١٣٣١) ويجب أن يصيب

١٣٣١ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ١٦١)، كتاب الحدود: باب إقامة الحد على المريض، حديث (٤٤٧٢). أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله... والنسائي في الكبرى (٤/ ٣١٢، ٣١٣): كتاب الرجم: باب الضرير في الخلقة يصيب الحدود، حديث (٧٣٠٧، ٧٣٠٨).
والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٠): كتاب الحدود: باب الضرير في خلقته لا من مرض يصيب الحد بلفظ «أن رجلاً» وأخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٧٧)، حديث (٥٥٦٨)، (٥٥٦٥، ٥٥٨٧) عن سهل بن حنيف.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٥) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال رجاله ثقات.
وأخرجه البغوى في شرح السنن (٥/ ٤٧٤)، حديث (٢٥٨٤) بتحقيقنا، والشافعي في مسنده (٢/ ٨٠)، حديث (٢٥٨) والدارقطني (٣/ ١٠٠)، حديث (٦٧) عن أبي أمامة عن ابن سهل بن حنيف وله شاهد من حديث عن سعد بن عبادة.
أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٥٩): كتاب الحدود: باب الكبير والمريض يجب عليه الحد، حديث (٢٥٧٤)، وقال البوصيري في الزوائد: مدار الإسناد على محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة وأحمد في المسند (٥/ ٢٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٣٠): كتاب الحدود: باب الضرير في خلقته لا من مرض تصيب الحد، والطبراني في الكبير (٦/ ٦٣)، حديث (٥٥٢١)، وأخرجه البغوى في شرح السنة (٥/ ٤٧٥)، حديث (٢٥٨٥) بتحقيقنا.
وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٥٥) عن أبي سعيد وعزاه للطبراني وقال رجاله رجال الصحيح، وعن سهل بن سعد الساعدي وقال رواه النسائي باختصار، والطبراني وفيه أبو بكر بن أبي سبر، وهو متروك.
وحديث أبي سعيد أخرجه الدارقطني (٣/ ١٠٠)، حديث (٦٦) وذكره الزيلعى (٣/ ١٩٤)، حديث (١١٠٨) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة والبزار وإسحاق بن راهوية.
وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير عن أبي إمامة.
وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني وابن عساكر من طريق ابن أمامة عن سعيد بن عبادة.
وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن ثوبان وعزاه للطبراني عن سهل بن سعد.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه النسائي، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والبزار، والطبراني من رواية أبي أمامة بن سهل عن سعيد بن عبادة. قال: «كان بين أبياتنا رجل ضعيف مخدج، فلم يرع الحي إلاّ وهو على أمة من إمائهم يخبث بها ـ الحديث». قال البزار: لم يرد إلاّ هذا، =

---

(١) قوله: «إنه أتى بمخدج» الخداج: النقصان، وأخدجت الناقة: إذا جاءت بولدها ناقص الخلق، وإن كانت أيامه تامة فهي مخدج، والولد مخدج، كذا في الصحاح. (ع).

المضروب كل واحد من المائة، إمّا أطرافها قائمة، وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب، وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره، وقيل: باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام. وقيل: قال لها الشيطان: اسجدي لي سجدة فأردّ عليكم مالكم وأولادكم، فهمت بذلك فأدركتها العصمة، فذكرت ذلك له، فحلف. وقيل: أوهمها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر برئ، فعرضت له بذلك. وقيل: سألته أن يقرب للشيطان بعناق، ﴿وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ علمناه صابراً. فإن قلت: كيف وجده صابراً وقد شكا إليه ما به واسترحمه؟ قلت: الشكوى إلى الله عزّ وعلا لا تسمى جزعاً، ولقد قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب، وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها، فإذا صحّ أن يسمى صابراً مع تمني العافية وطلب الشفاء، فليسم صابراً، مع اَللجْء إلى الله تعالى، والدعاء بكشف ما به، ومع التعالج ومشاورة الأطباء، على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة؛ حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبيًا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به، وإرادة القوة على الطاعة، فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلاّ القلب واللسان. ويروى أنه قال في مناجاته: إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي، ولم يتبع قلبي بصري، ولم يهبني ما ملكت يميني[1]، ولم آكل إلاّ ومعي يتيم، ولم أبت شبعان ولا كاسياً ومعي جائع أو عريان؛ فكشف الله عنه.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف بيان لعبادنا. ومن قرأ: «عبدنا» جعل إبراهيم وحده عطف بيان له، ثم عطف ذريته على عبدنا، وهي إسحاق ويعقوب، كقراءة ابن عباس: «وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق». ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت، فقيل: في كل عمل هذا مما عملت أيديهم، وإن كان عملاً لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي، أو كان العمال جذماً لا أيدي لهم، وعلى ٢/١٣٩أ ذلك ورد قوله عزّ وعلا: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى

= واختلف في إسناده. فقيل هكذا. وقيل عن أبي الزناد عن أبي أمامة مرسلاً، ورواه أبو داود من وجه آخر عن أبي أمامة أنه أخبره بعض أصحاب النبي ـ ﷺ. انتهى.

---

(١) قوله: «ولم يهبني ما ملكت يميني» أي: لم ينشطني ولم يهيجني، من هبت الريح: أي هاجت، وهب البعير: أي نشط، كما في الصحاح. (ع).

﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يريد: أولي الأعمال والفكر، كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات، ولا يستبصرون ـ في حكم الزمني الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم. وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله، ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما. وقرئ: «أولي الأيادي» على جمع الجمع. وفي قراءة ابن مسعود: «أولي الأيد» على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة. وتفسيره بالأيد ـ من التأييد ـ قلق غير متمكن. ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾ جعلناهم لنا مخلصين ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بخصلة خالصة لا شوب فيها، ثم فسرها «بذكرى الدار» شهادة بذكرىٰ الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها. وقرئ: على الإضافة. والمعنى: بما خلص من ذكرى الدار، على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير. ومعنى ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: ذكراهم الآخرة دائباً، ونسيانهم إليها ذكر الدنيا. أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها، وتزهيدهم في الدنيا، كما هو شأن الأنبياء وديدنهم. وقيل: ذكرى الدار. الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم. فإن قلت: ما معنى ﴿أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾؟ قلت: معناه: أخلصناهم بسبب هذه الخصلة، وبأنهم من أهلها. أو أخلصناهم بتوفيقهم لها، واللطف بهم في اختيارها. وتعضد الأوّل قراءة من قرأ: «بخالصتهم». ﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أي المختارين من أبناء جنسهم. و ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيِّر، أو خير على التخفيف؛ كأموات في جمع ميت أو ميت.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ كأن حرف التعريف دخل على يسع. وقرئ: «واللّيسع»، كأن حرف التعريف دخل على ليسع، فيعل من اللسع. والتنوين في ﴿وَكُلٌّ﴾ عوض من المضاف إليه، ومعناه: وكلهم من الأخيار.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي: هذا نوع من الذكر وهو القرآن. لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه، وهو باب من أبواب التنزيل، ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها[1]. قال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما يقول الجاحظ في كتبه:

---

(١) قال محمود: «إنما قال: هذا ذكر ليذكر عقبه ذكراً آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها، كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر.» قال أحمد: وكما ما يقول الفقيه ـ إذا ذكر أدلة =

فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر، ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت، والدليل عليه: أنه لما أتمّ ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار. قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وقيل: معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هذا ذكر من مضى من الأنبياء. ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ معرفة لقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: ٦١] وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب. و ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال، والعامل فيها ما في (للمتقين) من معنى الفعل. وفي ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ضمير الجنات، والأبواب بدل من الضمير، تقديره: مفتحة هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال. وقرئ: «جنات عدن مفتحة» بالرفع، على أن جنات عدن مبتدأ، ومفتحة خبره. أو كلاهما خبر مبتدإٍ محذوف، أي هو «جنات عدن» هي مفتحة لهم؛ كأن اللّدات سمين أتراباً؛ لأن التراب مسهن في وقت واحد، وإنما جعلن على سنّ واحدة؛ لأنّ التحاب بين الأقران أثبت. وقيل: هنّ أتراب لأزواجهنّ، أسنانهنّ كأسنانهم.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

قرئ: «يوعدون» بالتاء والياء ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ لأجل يوم الحساب، كما تقول: هذا ما تدخرونه ليوم الحساب، أي: ليوم تجزى كل نفس ما عملت.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿هَٰذَا ۚ﴾ أي الأمر هذا، أو هذا كما ذكر. ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ﴾ [الأعراف: ٤١] شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم، أي: هذا حميم فليذوقوه. أو العذاب هذا فليذوقوه، ثم ابتدأ فقال: هو ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أو: هذا فليذوقوه بمنزلة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۚ﴾ [البقرة: ٤٠] أي: ليذوقوا هذا فليذوقوه، والغساق ـ بالتخفيف والتشديد ـ: ما يغسق من صديد أهل النار، يقال: غسقت العين، إذا سال دمعها. وقيل: الحميم يحرق بحرّه، والغساق يحرق ببرده. وقيل: لو قطرت منه

= المسألة عند تمام الدليل الأول ـ: هذا دليل ثان كذا وكذا إلى آخر ما في نفسه، ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال: (هذا وإن للطاغين لشر مآب) فذكر أهل النار.

قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب، ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق. وعن الحسن رضي الله عنه. الغساق: عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى، إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة. ﴿وَءَاخَرُ﴾ ٢/ ١٣٩ب ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة. ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أجناس. وقرئ: «وآخر» أي: وعذاب آخر. أو مذوق آخر. وأزواج: صفة لآخر؛ لأنه يجوز أن يكون ضروباً، أو صفة للثلاثة وهي: حميم، وغساق، وآخر من شكله. وقرئ: «من شكله» بالكسر[1] وهي لغة. وأما الفتح[2] فبالكسر لا غير. ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي: دخل النار في صحبتكم وقرانكم، والاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها. والقحمة: الشدة. وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض، أي: يقولون هذا. والمراد بالفوج: أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة، فيقتحمون معهم العذاب. ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ دعاء منهم على أتباعهم. تقول لمن تدعو له: مرحباً، أي: أتيت رحباً من البلاد لا ضيقاً: أو رحبت بلادك رحباً، ثم تدخل عليه «لا» في دعاء السوء. و ﴿بِهِمْ﴾ بيان للمدعو عليهم. ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ تعليل لاستيجابهم للدعاء عليهم. ونحوه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] وقيل: هذا فوج مقتحم معكم: كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم. و ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ كلام الرؤساء. وقيل: هذا كله كلام الخزنة ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ يريدون: الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ والضمير للعذاب أو لصليهم. فإن قلت: ما معنى تقديمهم العذاب لهم؟ قلت: المقدم هو عمل السوء. قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠ ـ ٥١] ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه، قيل: أنتم قدمتموه لنا، فجعل الرؤساء هم المقدمين، وجعل الجزاء هو المقدّم، فجمع بين مجازين؛ لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم، والعمل هو المقدم لا جزاؤه. فإن قلت: فالذي جعل قوله: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ من كلام الخزنة ما يصنع بقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ والمخاطبون ـ أعني رؤساءهم ـ لم يتكلموا بما يكون هذا جواباً لهم؟ قلت: كأنه قيل: هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحقّ به منا لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب،

---

(١) قوله: وقرئ «من شكله بالكسر، وهي لغة» أي في الشكل بمعنى المثل. (ع).

(٢) قوله: «وأما الفتح فبالكسر لا غير» في الصحاح: الفتح والفتح: الشكل، وقد فتحت الجارية وتفتحت، فهي فتحة. وفيه: الشكل ـ بالفتح ـ: المثل، وبالكسر: الدل، يقال: امرأة ذات شكل. (ع).

وهذا صحيح، كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين: أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم؟ فقال المزين لهم للمزينين: بل أنتم أولى بالخزي منا، فلولا أنتم لم نرتكب ذلك، ﴿وَقَالُوا﴾ هم الأتباع أيضاً ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مضاعفاً، ومعناه: ذا ضعف: ونحوه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف: ٣٨] وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين، كقوله عز وجلّ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[١] [الأحزاب: ٦٨] وجاء في التفسير ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ حيات وأفاعي[٢].

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير للطاغين. ﴿رِجَالًا﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم. ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى، ولأنهم كانوا على خلاف دينهم، فكانوا عندهم أشراراً، ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لـ «رجالاً»، مثل قوله: ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها[٣] في الاستسخار منهم. وقوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ له وجهان من الاتصال، أحدهما: أن يتصل بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾ أي: مالنا لا نراهم في النار؟ كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها: قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة، وبين أن يكونوا من أهل النار. إلاّ أنه خفي عليهم مكانهم. والوجه الثاني: أن يتصل بـ «اتخذناهم» سخرياً، إما أن تكون أم متصلة على معنى: أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم، أم الازدراء بهم والتحقير، وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم، على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم، وعن الحسن: كل ذلك قد فعلوا، اتخذوهم سخرياً وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. وإما أن تكون منقطعة بعد مضي «أتخذناهم سخرياً» على الخبر أو الاستفهام، كقولك: إنها إبل أم شاء، وأزيد عندك أم عندك عمرو، ولك أن تقدّر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزته؛ لأنّ «أم» تدلّ عليها، فلا تفترق القراءتان: إثبات همزة الاستفهام وحذفها. وقيل: الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ لصناديد قريش، كأبي جهل

---

(١) قوله تعالى: (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً)، وقال في موضع آخر: (آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) والقصة واحدة. قال أحمد: وفيه دليل على أن الضعفين اثنان من شيء واحد، خلافاً لمن قال غير ذلك؛ لأنه في موضع قال: (فزده عذاباً ضعفاً) والمراد: مثل عذابه، فيكونا عذابين، وقال في موضعين (ضعفين) والمراد: ذا عذابين.

(٢) قوله: «وجاء في التفسير... إلخ» عبارة الخازن: قال ابن عباس: حيات وأفاعي. (ع).

(٣) قوله: «وتأنيب لها» أي: تعنيف ولوم. أفاده الصحاح. (ع).

والوليد وأضرابهما، والرجال: عمار وصهيب وبلاّل وأشباههم. وقرئ: «سخرياً» بالضم والكسر.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أيَ الذي حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بد أن يتكلموا به، ثم بين ما هو فقال: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾. وقرئ: بالنصب على أنه صفة لذلك، لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس[1] ٢/ ١٤٠أ. فإن قلت: لم سمى ذلك تخاصماً؟ قلت: شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك[2]؛ ولأنّ قول الرؤساء: لا مرحباً بهم، وقول أتباعهم: بل أنتم لا مرحباً بكم، من باب الخصومة، فسمي التقاول كله تخاصماً لأجل اشتماله على ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ما أنا إلا رسول ﴿مُنذِرٌ﴾ أنذركم عذاب الله للمشركين، وأقول لكم: إنّ دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن لا إله إلا الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ بلا ندّ ولا شريك ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكل شيء، وأنّ الملك والربوبية له في العالم كله وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة، وهو مع ذلك ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ لذنوب من التجأ إليه. أو قل لهم: ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم، وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته، فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه، كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه.

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا فيه نظر؛ لأنهم نصوا على أن أسماء الإشارة لا توصف إلا بما فيه أل نحو «مررت» بهذا الرجل، ولا يجوز «مررت» بهذا غلام الرجل، فهذا أبعد، ولأن الصحيح أن الواقع بعد اسم الإشارة المقارن لأل إن كان مشتقاً كان صفة وإلا كان بدلاً و«تخاصم» ليس مشتقاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «إن قلت لم سمي ذلك تخاصما؟ قلت: شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك؛ ولأن قول الرؤساء: لا مرحبا بهم، وقول أتباعهم: بل أنتم لا مرحبا بكم، من باب الخصومة» قال أحمد: هذا يحقق أن ما تقدم من قوله: (لا مرحبا بهم إنهم صالو النار) من قول المتكبرين الكفار، وقوله تعالى: (بل أنتم لا مرحبا بكم) من قول الأتباع، فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين، فيتحقق التخاصم، خلافاً لمن قال: إن الأوّل من كلام خزنة جهنم، والثاني: من كلام الأتباع؛ فإنه على هذا التقدير إنما تكون الخصومة من أحد الفريقين، فالتفسير الأول أمكن وأثبت.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ أي: هذا الذي أنبأتكم به ـ من كوني رسولاً منذراً، وأن الله واحد لا شريك له ـ نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلاّ غافل شديد الغفلة. ثم احتج لصحة نبوّته بأنّ ما ينبىء به عن الملأ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط، ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا، وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب، فعلم أنّ ذلك لم يحصل إلا بالوحي من الله. ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ أي: لأنما أنا نذير. ومعناه: ما يوحى إليّ إلا للإنذار، فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه. ويجوز أن يرتفع على معنى: ما يوحى إليّ إلاّ هذا، وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك، أي ما أومر إلاّ بهذا الأمر وحده، وليس إليّ غير ذلك. وقرئ: «إنما» بالكسر على الحكاية، أي: إلاّ هذا القول، وهو أن أقول لكم: إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئاً آخر[1]. وقيل: النبأ العظيم: قصص آدم عليه السلام والإنباء به من غير سماع من أحد، وعن ابن عباس: القرآن. وعن الحسن: يوم القيامة. فإن قلت: بم يتعلق ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾؟ قلت: بمحذوف؛ لأن المعنى: ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم، و ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. فإن قلت: ما المراد بالملإ الأعلى؟ قلت: أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس؛ لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم، فإن قلت: ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله تعالى وبينهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لهم وقالوا له، فأنت بين أمرين: إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء، وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم، وإما أن تقول: التقاول كان بين الله وبينهم، فقد جعلته من الملإ الأعلى. قلت: كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك، فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط، فصحّ أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس، وهم الملأ الأعلى. والمراد بالاختصام: التقاول على ما سبق.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفي تخريجه تعارضٌ؛ لأنّه قال: إلاّ هذا القول، فظاهره الجملة التي هي: «إنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مبينٌ» ثم قال: وهو أنْ أقُولَ لكم: إنِّي نَذِيرٌ، فالمُقَامُ مقامُ الفاعل هو أنْ أقُولَ لَكُم وإنِّي وما بعده في موضع نصب، وعلى قوله: إلاّ هذا القول يكون في موضع رفع؛ فتعارضا. قُلْتُ: ولا تَعَارُضَ البتَّةَ؛ لأنه تفسيرُ مَعْنًى في التقدير الثاني، وفي الأول تفسيرُ إعْرابٍ، فلا تعارُضَ. انتهى. الدر المصون.

سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾

فإن قلت: كيف صحّ أن يقول لهم: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل؟ قلت: وجهه أن يكون قد قال لهم: إني خالق خلقاً من صفته كيت وكيت، ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فإذا أتممت خلقه وعدلته. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وأحييته وجعلته حساساً متنفساً ﴿فَقَعُوا۟﴾ فخروا، كل: للإحاطة. وأجمعون: للاجتماع، فأفادا معاً أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجدَ، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرّقين في أوقات. فإن قلت: كيف ساغ السجود لغير الله؟ قلت: الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة، فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل، إلاّ أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه، فإن قلت: كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجنّ؟ قلت: قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أريد: وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافراً؛ لأن (كان) مطلق في جنس الأوقات الماضية، فهو صالح لأيها شئت، ويجوز أن يراد: وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾: قلت: قد سبق لنا أنّ ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتى قيل في عمل ٢/١٤٠ب القلب: هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن لا يدين له: يداك أوكتا[1] وفوك نفخ. وحتى لم يبق فرق بين قولك: هذا مما عملته، وهذا مما عملته يداك. ومنه قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١]، و: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]؟ قلت: الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم، واستنكف منه أنه سجود لمخلوق، فذهب بنفسه، وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق، وانضم إلى ذلك أنّ آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار. ورأى للنار فضلاً على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب، وزلّ عنه أنّ الله سبحانه حين أمر به أعزَّ عباده عليه[2] وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة، وهم أحقّ

---

(١) قوله: «يداك أوكتا» في الصحاح: أوكى على ما في سقائه: إذا شده بالوكاء. (ع).

(٢) قوله: «حين أمر به أعز عباده» مبني على مذهب المعتزلة: أن الملك أفضل من البشر. وعند أهل =

بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل، ويستنكفوا من السجود له من غيرهم، ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدّام أعينهم، ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له؛ تعظيماً لأمر ربهم وإجلالاً لخطابه ـ كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم، ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له؛ لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح، فقيل له: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ؟ أي: ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي ـ لا شكّ في كونه مخلوقاً ـ امتثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة؟ فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه، وقيل له: لم تركته مع وجود هذه العلة، وقد أمرك الله به؟ يعني: كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة، ومثاله: أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه، فيقول له: ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى عليّ سقوطه[1]، يريد: هلا اعتبرت أمرى

= السنة: البشر أفضل من الملك. (ع).

(١) قال محمود: «لما كان ذو اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه: غلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغير اليدين، حتى قيل في عمل القلب: هذا مما عملت يداك. قال: ومعناه أن الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف بسببه: أنه سجود لمخلوق، مع أنه دون الساجد؛ لأن آدم من طين، وإبليس من نار، فرأى للنار فضلاً على الطين، وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة أن يسجدوا لهذا البشر ـ لم يمتنعوا ولم يذهبوا بأنفسهم إلى التكبر، مع انحطاطه عن مراتبهم، فقيل له: ما منعك أن تسجد لهذا الذي هو مخلوق بيدي كما وقع لك، مع أنه لا شك أن في ذلك امتثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة؟ فذكر له العلة التي منعته من السجود، وقيل له: ما حملك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمري؟ ومثاله: أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم، فيمتنع اعتباراً لسقوطه. فيقول له: ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه؟ يريد: هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه، انتهى المقصود من الآية بعد تطويل وإطناب وإكثار وإسهاب» قال أحمد: إنما أطال القول هنا ليفر من معتقدين لأهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية: أحدهما: أن اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع، هذا مذهب أبي الحسن والقاضي، بعد إبطالهما حمل اليدين على القدرة؛ فإن قدرة الله تعالى واحدة، واليدان مذكورتان بصيغة التثنية، وأبطلا حملهما على النعمة بأن نعم الله لا تحصى، فكيف تحصر بالتثنية. وغيرهما من أهل السنة كإمام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة، ويجيب عما ذكراه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة، وهذا ما يحقق تفضيله على إبليس؛ إذ لم يخلق إبليس لنعمة الآخرة، وعلى أن المراد القدرة، فالتثنية تعظيم، ومثل ذلك يوجد في اللغة كثيراً. المعتقد الثاني: أن النبي أفضل من الملك، والزمخشري شديد العصبية في هذه المسألة والإنكار على من قال بذلك من أهل السنة، لا جرم أنه أجرم في بسط كلامه على آدم عليه السلام، فمثل قصته في انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره: زر بعض سقاط الحشم، فجعل سقاط حشم الملك مثالاً لآدم الذي هو عنصر الأنبياء عليهم السلام، وأقام لإبليس عذره وصوب اعتقاده، أنه أفضل من آدم؛ لكونه من نار وآدم من طين، وإنما غلطه من جهة =

وخطابي وتركت اعتبار سقوطه، وفيه: أني خلقته بيدي، فأنا أعلم بحاله، ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه: من إنعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة، فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له، ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له؟ وقيل: معنى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لما خلقت بغير واسطة. وقرئ: «بيدي» كما قرئ: «بمصرخي». وقرئ: «بيدي»، على التوحيد. ﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ممن علوت وفقت، فأجاب بأنه من العالين حيث ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ وقيل: «أستكبرت» الآن، أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين. ومعنى الهمزة: التقرير. وقرئ: «استكبرت» بحذف حرف الاستفهام؛ لأنّ أم تدلّ عليه. أو بمعنى الإخبار، هذا على سبيل الأولى، أي: لو كان مخلوقاً من نار لما سجدت له؛ لأنه مخلوق مثلي، فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله؟ وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿مِنْهَا﴾ من الجنة. وقيل: من السموات. وقيل: من الخلقة التي أنت فيها؛ لأنه كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته، فاسودّ بعد ما كان أبيض، وقبح بعد ما كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانيًا. والرجيم: المرجوم. ومعناه: المطرود، كما قيل له: المدحور والملعون؛ لأنّ من طرد رمي بالحجارة على أثره. والرجم: الرمي بالحجارة. أو لأنّ الشياطين يرجمون بالشهب. فإن قلت: قوله: ﴿لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ كأن لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع؟ قلت: كيف تنقطع وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] ولكن المعنى: أن عليه اللعنة في الدنيا، فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة، فكأنها انقطعت.

= أخرى. وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة إذ سجدوا له، على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة، وجعل قوله تعالى: (لما خلقت بيدي) إنما ذكر تقريراً للعلة التي منعت إبليس من السجود، وهو كونه دونه، وهذا ـ نسأل الله العصمة ـ المراد منه ضد ما فهم الزمخشري، وإنما ذكر ذلك تعظيماً لمعصية إبليس؛ إذ امتنع من تعظيم من عظمه الله إذ خلقه بيده، وذلك تعظيم لآدم لا تحقير منه، ويدل عليه الحديث الوارد في الشفاعة، إذ يقول له الناس عندما يقصدونه فيها: أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته. فإنما يذكرون ذلك في سياق تعديد كراماته وخصائصه، لا فيما يحط منه، معاذ الله وإياه نسأل أن يعصمنا من مهاوي الهوى ومهالكه، وأن يرشدنا إلى سبيل الحق ومسالكه، إنه ولي التوفيق، وبالإجابة حقيق.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾

فإن قلت: ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم؟ قلت: الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى. ويومه: اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه. ومعنى المعلوم: أنه معلوم عند الله معين، لا يستقدم ولا يستأخر.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ إقسام بعزّة الله تعالى وهي سلطانه وقهره.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قرئ: «فالحق والحق» منصوبين على أن الأول مقسم به كالله في [من الرجز]:

إنَّ عـــلـــيـــك الله أن تُـــبَـــايِـــعَـــا[1]

وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ والحق أقول: اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه، ومعناه: ولا أقول إلاّ الحق. والمراد بالحق: إمّا اسمه عزّ وعلا الذي في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] أو الحق الذي هو نقيض الباطل: عظمه الله بإقسامه به. ومرفوعين على أنّ الأوّل مبتدأ محذوف الخبر، كقوله: (لعمرك) أي: فالحق قسمي لأملأنّ. والحق أقول، أي: أقوله كقوله كله لم أصنع، ومجرورين: على أنّ الأوّل ٢/ ١٤١أ مقسم به قد أضمر حرف قسمه، كقولك: الله لأفعلنّ. والحق أقول، أي: ولا أقول إلاّ الحق على حكاية لفظ المقسم به. ومعناه: التوكيد والتشديد. وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضاً. وهو وجه دقيق حسن. وقرئ: برفع الأوّل وجرّه مع نصب الثاني، وتخريجه على ما ذكرنا، ﴿مِنكَ﴾ من جنسك وهم الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم، فإن قلت: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد لماذا؟ قلت: لا يخلو أن يؤكد به الضمير في «منهم»، أو الكاف في «منك» مع «من تبعك». ومعناه: لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً، أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس، لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الأتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم.

---

(١) وبعده: «تؤخذ كرها أو تجيء طائعا»
الرجز بلا نسبة في الخزانة (٥/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٤٠٢) الكتاب (١/ ١٥٦) وشرح التصريح (١/ ١٦١)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٤٠) والمقاصد النحوية (٤/ ١٩٩) والمقتضب (٢/ ٦٣).

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضمير للقرآن أو للوحي. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله، وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدّعياً ما ليس عندي، حتى أنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ من الله ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ للثقلين. أوحى إليّ فأنا أبلغه، وعن رسول الله ﷺ: «للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم» (١٣٣٢) ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي: ما يأتيكم عند الموت، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وفشوه، من صحة خبره، وأنه الحق والصدق. وفيه تهديد.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات، وعصمه أن يصرّ على ذنب صغير أو كبير» (١٣٣٣).

١٣٣٢ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٢٧٠)، باب: في حفظ اللسان فصل في فضل السكوت عما لا يعنيه، رقم (٥٠٦٤).
من طريق أرطأة بن المنذر مقطوعاً، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٩٤) للثعلبي في تفسيره من طريق أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب عن سلمة بن نفيل، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق محمد بن عون حدثنا محمد بن المصلي حدثنا حيوة بن شريح عن أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب عن سلمة بن نفيل مرفوعاً به، ورواه البيهقي في الشعب في الثالث والثلاثين من رواية بقية عن أرطأة قوله ورواه أبو نعيم عن وهب بن منبه قوله. انتهى.

١٣٣٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٩٥) للثعلبي في تفسيره، ولابن مردويه في تفسيره في آل عمران، والحديث تقدم تخريجه بتوسع برقم (٣٤٦) وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي رضي الله عنه. انتهى.